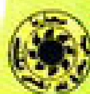
روايات مصرية للجيب

كوكتيل





ثقافة الغد .. لشباب اليوم

العدد الخامس

لعنة البحر

وقصص أخرى

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

- مع بدء العـد التنـازلى ، نحو القـرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيـل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

كوكتيل ٢٠٠٠



(قصة قصيرة)

القانون

انفطر قلبها فى أسى ولوعة ، وخيل إليها أنه ينتزع من بين أضلاعها ، مع انتزاع الطبيب لتذكرته الطبية فى ذلك الدفتر الأنيق ، الذى يحمل اسمه فى كل صفحاته ، ومناولتها إياها ، وهو يقول فى لهجة رجل عملى ، لم يعد لديه وقت للعواطف أو المشاعر :

ـ من الضرورى أن تبتاعى هذا الدواء اليوم ، وإلا فسيحيا ابنك بعاهة مستديمة مدى الحياة .

ألقت نظرة بلا معنى على التذكرة الطبية ، وهى تغمغم :

ـ هل يتكلف الدواء كثيرا ؟

اجابها فى ضجر :

ــ سلى الصيدلانى .

ثم هتف ينادى مساعده :

ــ المريض التالى يا عبده .

خفضت وجهها فى استسلام وانكسار ، وحملت ابنها الهزيل ، ذا الأعوام الستة ، وغادرت باب العيادة الفاخر ، وقلبها نهبة للحزن والحيرة ..

إن الذى تحمله هو ابنها الوحيد ، لم تنجب سواه فى عمرها ، ولا امل لديها فى ان تفعل ، فلقد استأصل الأطباء رحمها مع مولد هذا الابن ، بسبب خطإ طبيب ناشىء ، حاول استاذه تدريبه على اسلوب جديد للتوليد ، فكان من نصيبها ان يثقب الطبيب الناشىء رحمها ، ثم ينقذها استاذه من الموت باستئصال وعاء الإنجاب الوحيد فى جسد اية امراة ..

وبعدها لقى زوجها ، العامل الأجرى الصغير مصرعه ، عندما سقط من الطابق الرابع فى منزل تحت الإنشاء ، كان يعمل فيه عامل بناء ..

ومنذ ذلك الحين وهى تكافح لتحيا ..

ولكن نوائب الدهر لم ترفع يدها عنها بعد ..

ها هو ذا ابنها الوحيد يصاب بمرض عضال ، يهدده بعاهة مستديمة ، وها هى ذى تقف عاجزة عن إنقاذه ..

وتوقفت مترددة امام صيدلية كبيرة ، ثم دفعت قدميها دفعا لتخطو داخلها ، وامتدت يدها إلى الصيدلانى بالتذكرة الطبية ، وهى ترتجف فى توتر ، فالتقطها منها الصيدلانى

البدين ، وقلب شفتيه امتعاضا وازدراء ، وهو يتأمل مظهرها الرث ، ثم اعادها إليها قائلا فى برود :

ــ هذا الدواء يتكلف اربعين جنيها ..

ارتجف كل عرق فى جسدها ، عند سماع المبلغ ..

اربعون جنيها ؟!..

إنها لم تربح فى عمرها كله مثل هذا المبلغ ..

ولكن ماذا تفعل ؟..

أتترك وحيدها يواجه مصيره المظلم ؛ لأنها لا تملك مالا ؟..

إنها حتى لا تملك حسنا ، لتراودها فكرة الاتجار بنفسها لشراء الدواء ..

لا تملك حتى القوة للمزيد من العمل ..

وفى صوت خافت منكر ، غمغمت :

ــ الا يمكنك ان ..

ولكنه لم ينتظر ليستمع إليها ..

لقد فارقها ضجرا ، ليلبى طلب تلك السيدة المكتظة ، التى تطلب شراء دواء لإنقاص وزنها ، يبلغ ثمنه ضعفى ثمن الدواء ، الذى يحتاج إليه الابن المسكين ..

وغادرت الصيدلة كطير ذبيح ، وارتكنت إلى بابها تبكى فى مرارة ، وهى تحمل ابنها على كتفها ، والتذكرة الطبية فى يدها ..

وفجأة ، دس احدهم فى يدها ورقة مالية ، جفت دموعها وهى تتطلع إليها فى دهشة ، وارتجف قلبها وهى تتصور ما حدث ..

لقد ظن الرجل أنها تتسول ، فمنحها ذلك الجنيه ..

تتسول ؟!.. يا له من عار !..

إنها لم تكن لتفعل هذا أبدا ..

ولكن ..

ماذا تفعل سواه ؟!..

عادت تستعرض موقفها كله ثم ضمت ابنها إلى صدرها فى إشفاق ولوعة ، وراحت أعماقها تصارعها ..

ولم لا تتسول ؟! ..

ولم لا تقبل الأقدام أيضا من أجل وحيدها ؟!..

وفى حياء تمتمت :

— حسنة لله ..

خيل إليها أن أحدا لم يسمع صوتها ، فرفعت عقيرتهـا قليلا :

— أريد شراء دواء لذلك الطفل اليتيم .

تطلع إليها بعض المارة فى إشفاق ، وابتسم آخـرون فى سخرية وخبث ، واقترب كهل منها ، ودس فى يدها ورقة مالية كبيرة و ...

وفجأة ، هوت على كتفها يد قوية غليظـة ، وارتفع من خلفها صوت صارم يقول فى قسوة :

— ماذا تفعلين يا امرأة ؟

انكمشت فى رعب ، والتفتت إليه بعينين هلعتين وجسـم مرتجف ، وأرعبتها تلك الصرامة البادية فى ملامحه ، وهـو يستطرد :

— ألا تعلمين أن التسول يخالف القانون ؟!..

أرادت أن تشرح له موقفها ، وأن تريه التذكرة الطبية ، إلا أن الرعب والرهبة ألجماها ، فبقيت صامتة مستسلمة ، فى حين قال أحد المـارة فى إشفاق :

— دعها ترتزق يا (شاويش) .

وأضافت سيدة :

— ربما كان ابنها مريضا حقا .

صاح (الشاويش) فى صرامة لا تقبل الجدل :

— وليكن .. القانون هو القانون .

وتأوه ابنها ألما ، وزادت هى فى ضمه إلى صدرها ، ولم تنطق بحرف واحد ، وقـد سالت دموع اليأس والمرارة على وجهها ، وهى تسير أمـام الشرطى إلى قسـم الشرطة فى استسلام تام ..

الآن فقط أدركت ماهية القانون ..

قانون الأقوياء ..





(قصة قصيرة)

القـوة

هبت العاصفة فى المنزل ..

لقد ثار رب الأسرة ، (إبراهيم زكريا) على زوجته وأولاده ، عندما استيقظ فى الصباح ، ولم يجد خفه المنزلى إلى جـوار فراشه كالمعتاد ..

وراحت زوجته تهدىء من روعه ، وتلتمس شتى الأسباب والمعاذير ، لتبرر له عدم وجود خفيه ، متعللة بان ابنه الأكبر قد استعارهما لحظات ، ليذهب إلى دورة المياه ، ثم يعيدهما قبل استيقاظ والده ، وأنه هو الذى استيقظ قبل موعده ، و . . .

ورماها (إبراهيم) بنظرة صارمة قاسية ، جمدت الدماء فى

عروقها ، وحبست الكلمات فى حلقهـا ، فانكمشت ترتعد ، وتركته يفرغ ثورته فى وجوه ابنائه .

ولزم الجميع الصمت فى هيبة وخوف ، حتى أفرغ (إبراهيم) ثورته ، ثم صاح فى وجه زوجته :

ـ الشـاى .. اريد قدح الشاى .. لقد اقتـرب موعد ذهابى إلى العمل .

اسرعت زوجته تعد له قدح الشاى ، فارتشفه فى سرعة ، وهى تقف إلى جواره مرتعدة مستسلمة ، وترددت طويلا ، قبل ان تغمغم :

ـ (وفاء) تريد حذاء جديدا .

رماها بنفس النظرة القاسية الصارمة ، وهو يقول :

ـ ولمـاذا لم تطلبه بنفسها ؟

اجابته فى خنوت :

ـ خشيت أن تثور فى وجهها .

مط شفتيه متظاهرا بالامتعاض ، إلا انه ، فى حقيقة الأمر ، كان يشعر بسعادة ونشوة عارمتين فى أعماقه ..

هكذا القوة ..

هكذا تكون إدارة المنزل ..

ان يخشاه الجميع ويرهبونه ..

إنه يحب هذا الشعور ..

شعور القوة ..

وفى غطرسة ، لوح بكفه ، قائلا :

ـ فلتبتع الحذاء .. سأترك لها ثمنه .

غادر مائدة الإفطار وزوجته خلفه ، تدعو له بالتوفيق فى عمله ، وهو يسير منتفخ الأوداج ، حتى باب المنزل ، ولم يكد يغلقه خلفه ، حتى تنفس أبناؤه الصعداء فى ارتياح ، وأسرعت (وفاء) تلتقط الأوراق المالية ، التى تركها خلفه لها ..



أما هو ، فقد ذهب إلى عمله على الفور ، وخلع حلته ، وعلقها على مشجبها القديم فى عناية ، وارتدى حلة العمل ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها صوت غاضب يهتف :

ــ أين الحمار (إبراهيم) ؟.. لماذا لم يصل حتى الآن ؟

أسرع يحمل صينية الشاى ، وهو يقول :

ــ أنا هنا يا سعادة البك .

قدم الشاى إلى رئيسه فى مكتبه ، والرئيس يهتف ساخطا :

ــ يا لك من غبى !.. أنت أسخف فراش عمل هنا يا (إبراهيم) .. أنت حمار .

ابتسم (إبراهيم) ، وضحك قائلا :

ــ حمار شغل يا سعادة البك .

ومع بداية عمله كان قد نسى كل شىء عن المنزل .. وعن القوة ..



عزيزى القارىء ..

ما الثقافة ؟!.. البعض يظن أن الثقافة هى معرفة الوسط المحيط به فحسب ، أو هى الإلمام ببعض المعارف الضرورية لحياته وعمله ، ولكن هذا الظن خاطىء للأسف ، فالثقافة هى المعرفة الشمولية ، التى تختلف عن المعرفة الخاصة ، لعملك ومجالاته .. ومن الضرورى أن يكون الإنسان المتحضر مثقفا ، وأن يسعى للمعرفة بكل الطرق والوسائل ، وإلا وجدنا الطبيب لا يجيد أو يعرف شيئا سوى الطب ، والمهندس لا يجيد حديثا سوى عن الهندسة ، والمحاسب يعامل الدنيا كلها بالأرقام ..

وقد تبدو لك معلومة ما أنها غير مفيدة ، أو أنها هامشية فى خضم الحياة ، ولكن هذا لا يعنى أبدا أن تهملها ، بل أن

تستزيد منهـا ؛ لأن السؤال الذى سيواجهك دوما ، فى كل المجتمعات ، وفى كل المجالات هو : هل أنت مثقف ؟..

إننا هنا سنختبر هذا ، وسنطالبك بالإجابة عن عشرين سؤالا ، وبعدها أجب عن السؤال السابق .. هل أنت مثقف ؟

---

١ — انهزم القائد الفرنسى الشهير (نابليون بونابرت) فى معركة تعرف باسم :

□ الطرف الأغر . □ ستالينجراد .
□ ووترلو .

٢ — (جان فالجان) ، شخصية روائية ، ورد ذكرها فى رواية :

□ البؤساء . □ دافيد كوبر فيلد .
□ الأمير والفقير .

٣ — تبلغ سرعة الإنسان العادى فى المشى :

□ كيلومتر / ساعة .
□ ستة كيلومترات / ساعة .
□ كيلومترين / ساعة .

٤ — الإليكترون فى الذرة ، يحمل شحنة :

□ موجبة . □ سالبة . □ متعادلة .

٥ — أول رائد فضاء وضع قدمه على القمر هو :

□ يورى جاجارين . □ أدوين الدرين .
□ نيل ارمسترونج .

٦ — أنثى العقرب تضع صغارها عن طريق .

□ الولادة . □ البيض .

٧ — الأديب (إدجار رايس باروز) ابتكر شخصية شهيرة ، تعرف باسم :

□ زورو . □ سوبرمان . □ طرزان .

٨ — (بنك القلق) ، مسرحية من تأليف الكاتب المصرى :

□ يوسف إدريس . □ توفيق الحكيم .
□ أنيس منصور .

٩ — إله الخصب والإنماء ، عند قدماء المصريين هو :

□ ست . □ حورس . □ أوزيريس .

١٠— أعلن النازيون ، إبان الحرب العالمية الثانية ، أنهم فور دخولهم إلى (مصر) سيقومون بإعدام الكاتب المصرى المعروف .

□ العقاد . □ طه حسين . □ المازنى .

١١— مخترع المصباح الكهربى هو :

□ لويس باستير . □ توماس اديسون .
□ إدوارد سابين .

١٢ — بدأت الحملة الفرنسية على (مصر) عام :

□ ١٨٩٠ م □ ١٧٠١ م □ ١٧٩٨ م .

١٣ — « لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة » ، عبارة قالها الزعيم المصرى .

□ مصطفى كامل . □ سعد زغلول .
□ جمال عبد الناصر .

١٤ـ جنسية (أدولف هتلر) الأصلية هى :

☐ ألمانى . ☐ نمساوى . ☐ بولندى .

١٥ـ من أشهر كتاب الخيال العلمى فى التاريخ .

☐ البير كامى . ☐ هيمنجواى .

☐ جولى ڤيرن .

١٦ـ (قاهر الزمن) ، رواية علمية فازت بجائزة خاصة ، للأديب المصرى :

☐ صبرى موسى . ☐ نهاد شريف .

☐ رءوف وصفى .

١٧ـ (سيدان من ڤيرونا) مسرحية للأديب العالمى :

☐ شكسبير . ☐ برنادو شو .

☐ ديرنمات .

١٨ـ مخترع الهاتف هو :

☐ ستيفنسن . ☐ جراهام بل .

☐ مرسيدس .

١٩ـ الإله الذى صنعه قدماء المصريين على هيئة حية هو :

☐ باسنت . ☐ إيزيس . ☐ أرابوس .

٢٠ـ أشهر متنبىء عرفه التاريخ هو :

☐ نوستراداموس . ☐ هواركس مندوز .

☐ مارابيليان .

والآن ابحث عن الأجوبة وراجعها فى ص (١٩٠) وأجب عن سؤالنا التقليدى و ...

واحتفظ بجوابه سرا ..

ملخّص ما سبق نشره

بدأ الحاج (البنهاوى) حياته ، فى قرية من قرى الغربية ، فقيرًا معدمًا ، ثم لم يلبث أن أصبح يمتلك ألف فدان كاملة ، بكفاح عمره كله ، وأنجب خلال رحلة كفاحه خمس بنات وثلاث أولاد ، وراح يبذل أقصى جهده ، لتأمين القوة والمستقبل لهم ، وبلغت سعادته ذروتها ، عندما التحق (حسين) ، ابنه الأكبر بالكلية الحربية ، ولكن (حسين) راح يطمح إلى مزيد من القوة ، فطلب والده بالسعى لنيل لقب (باشا) ، مقابل مائتى فدان ، وسبعين ألفًا من الجنيهات ، على الرغم من رفض (مفيد) ، الابن الأصغر ، للفكرة ، وفجأة تم إلقاء القبض على (حسين) ووالده ، بتهمة لفّقها العمدة والمأمور ، ولكن التهمة لم تلبث أن تحوّلت إلى نصر ، عند قيام الثورة ، فى يوليو ، عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين ، وعندئذ تحوّلت حياة الأسرة تمامًا ، عندما اعتبرت القرية كلها أن (حسين) واحد من أبطال الثورة ، وألغت الثورة الألقاب ، فشعر (البنهاوى) بالأسى ، لما فقده من أرض جمعها بكدّه وعرقه دون طائل ، وقرّر الإسراع باتمام زواج ابنته (توحيده) ، وأثناء الإعداد للزفاف ، وصلت برقية تدعو (حسين) لمقابلة (رفعت كسّاب) ، أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، الذى أصدر قرارًا بمنحه شهادة تخرّج من الكلية الحربية ، وترقيته إلى رتبة ملازم أوّل دفعة واحدة ، ثم صارحه برغبته فى ضمه إلى جهاز خاص ، تعمل الثورة على إنشائه ، وفوجئ (حسين) بأن مدرّبه على العمل فى هذا الجهاز هو (إبراهيم مكّى) ضابط البوليس السياسى القديم ، وقرّر إزاحته عن طريقه ، ولكن الأمور تتطوّر فى سرعة ، فيثور (البنهاوى) على ولده ، عندما يرفض (حسين) زواج (زينب) شقيقته من (ماهر) الذى وافق عليه والده ، وفى ذروة ثورة (البنهاوى) ، يصله خبر إصدار قانون الإصلاح الزراعى ، ومصادرة أرضه ، فيسقط الأب صريعًا ..

١٨ — الميراث ..

كانت جنازة (البنهاوى) مهيبة بحق ، وهى تعبر شوارع القرية فى صمت تام ، خلا حتى من صراخ النساء التقليدى ، فى القرى المصرية ، وهن يشيعن موتاهن ، وكأنما أضفى وقار الراحل وهيبته نمطا خاصا على تشييع جنازته ، أو أن ذلك الإطار الذى أحيطت به الجنازة قد حبس الصرخات فى حلوق النساء ، فلم تخرج القرية كلها لتشييع الرجل إلى مثواه الأخير ، مدفوعة بحبه واحترامه فحسب ، وإنما انضم إلى الصورة حشد من رجال الجيش ، تلتمع رتبهم الرسمية على أكتافهم ، ويتقدمهم عدد من الضباط الأحرار ، الذين هم محور حياة (مصر) كلها ، فى ذاك الوقت ..

ومضت الجنازة صامتة ، حتى تم إيداع (البنهاوى) مثواه الأخير ، فى تراب القرية التى شهدت كفاحه ونموه ، ثم بدأ أبناؤه يتقبلون العزاء ، وصافح (رفعت كساب) (حسين) فى حرارة ، وهو يقول :

— البقاء لله .. لا تستسلم للأحزان .

أجابه (حسين) فى لهجة عسكرية ، بدت عجيبة فى إطار الموقف :

— لن أفعل يا سيدى .

التفت (رفعت) يصافح (مفيد) ، قائلا وهو يشد على يده فى قوة :

ــ القول نفسه ينطبق عليك .

غمغم (مفيد) ، وهو يجتر الكلمات من حزنه اجترارا :

ــ سأحاول .

ربت (رفعت) على كتفه ، ثم التفت إلى (حسين) ، وقال وكانما نسى جلال الموقف :

ــ متى ستأتى إلى مكتبى ؟

اجابه (حسين) فى سرعة :

ــ وقتما تشاء يا سيدى .

لوح (رفعت) بكفه ، قائلا :

ــ خذ اسبوعا كاملا ، ولكن حاول ان تتخلص من الاحزان فى سرعة .

اجابه بنفس اللهجة العسكرية :

ــ سأحاول ياسيدى .

شعر (مفيد) بغصة فى حلقه ، وباشمئزاز ، عنيف فى اعماقه ..

كيف يمكنهما ان يتحدثا هكذا ، فى موقف له كل هذا الجلال ؟!..

الم يعد لمشاعرهما مجال او مكان ؟ ..

أصارت السلطة فى الحياة ملهية لهم عن الموت ؟..

تمنى لحظتها لو انفجر فى وجه شقيقه ، واتهمه بالعقوق والنكران ، إلا انه راح يقاوم رغبته هذه فى شدة ، وهو يفكر فى شقيقهما (حافظ) ، الذى لم تحتمل اعصابه الصدمة ، فانهار تماما ..

هكذا هو (حافظ) دوما ..

أضعف من ان يحتمل اية صدمة ..

ترى ماذا سيفعل المسكين ، بعد ان فقد والده ، الوحيد الذى كان ينقذه من بطش (حسين) به ؟..

يا للبائس المسكين ؟!..

افاق (مفيد) من افكاره على وجه اثار دهشته ..

وجه شاب وسيم ، برز من بين الصفوف فجأة ، واتجه إليه ، ومد يده يصافحه ، وهو يقول فى هدوء يحمل نبرة قوة واضحة :

ــ البقاء لله .

صافحه (مفيد) فى حيرة ، وهو يتساءل : اين راى هذا الوجه من قبل ؟

ثم فجأة تذكر ..

وادهشته الذكرى ..

إنه ضابط البوليس السياسى ، الذى القى القبض على والده ، وعلى (حسين) ، منذ شهور ..

إنه الصاغ (إبراهيم مكى) نفسه ..

وفى دهشة بالغة ، حدق (مفيد) فى وجه (إبراهيم) ، الذى استدار إلى (حسين) ، ومد يده يصافحه فى هدوء ، مكررا عبارته نفسها ..

وادرك (مفيد) على الفور ان علاقة ما قد نشأت بين (حسين) و (إبراهيم) ..

لم يدر طبيعة تلك العلاقة بالضبط ، ولكنهما تصافحا على نحو يؤكد اعتياد كل منهما على الآخر ، وتبادلا نظرة غامضة عجيبة ، توحى بأن كلا منهما يحمل فى قلبه كراهية لا حد لها ، تجاه الآخر ..

ولكن الموقف لم يكن يحتمل التفكير فى هــذه النقطــة او بحثها ؛ لذا فقد انشغل (مفيد) و (حسين) فى تقبل العزاء ، حتى انفض الموقف ، فعادا إلى السراى ، وقد بدا الحزن يتخذ مسارا جديدا فى نفسيهما ، بعد جرعة المشــاعر المفرطة ، التى حقنهما بها الموقف ، منذ الوفاة ..

وفى السراى لم تكن النيران قد خمدت بعد ..

كانت بنات (البنهاوى) يذرفن الدمع فى غزارة ، ويبكين وينتحبن فى مرارة وحزن لا حد لهما ..

وحدها (زينب) بدت متماسكة إلى حد كبير ، على الرغم من التماعة دمع تملأ عينيها ، فاتجه إليها (مفيد) ، وسألها :

ــ اين (حافظ) ؟

اجابته والمرارة تتقاطر من صوتها :

ــ يجلس وحده فى الشرفة الخلفية .

سألها فى قلق :

ــ هل يبكى ؟

هزت راسها نفيا ، وهى تقول :

ــ مطلقا .

ثم اضافت فى حيرة :

ــ وهذا ما يقلقنى فى الواقع .

تنهد (مفيد) وقال :

ــ سأذهب إليه .

اتجه إلى حيث يجلس (حافظ) ، الذى بدا صامتا جامدا ، كتمثال من حجر ، وعيناه تشردان بعيدا فى الفراغ ، وقد بدتا اقرب إلى عينى جثــة هامدة ، فجلس (مفيد) إلى جواره صامتا بعض الوقت ، ثم ربت على كتفه ، مغمغما :

ــ لا تستسلم لأحزانك هكذا .

لم يبد ان (حافظ) قد سمعه ..

لم يبد حتى انه قد شعر بوجوده ..

لقد ظل صامتا ، جامدا ، يحدق فى الفراغ ، فتابع (مفيد) :

ــ إنه والدنا كلنا ، و ...

لم يتم عبارته ، بل لم يشعر حتى بالرغبة او الحاجة إلى ذلك ..

إنه يعلم جيدا ان احتمال (حافظ) للصدمة بالغ الضعف ، وانه سيمضى وقت طويل حتى يمكنه استيعاب ذلك التغير ، الذى طرأ على الأسرة ..

وعلى فقدان ابيه ، وسنده ، ودرعه ..

وتنهد (مفيد) مرة اخرى ، وربت على كتف شقيقه ، ثم نهض يغادر الشرفة ، إلا ان همســة تحمل اســمه جعلته ينتفض ، وجعلت قلبــه يــدق فى عنف ، وهــو يلتفت إلى مصدرها ، هاتفا بكل الوجد فى اعماقه :

ــ (مديحة) ؟!.

كانت تختفى بجسدها الضئيل وسط أشـجار المـانجو والبرتقال ، فى حديقة المنزل الخلفية ، ووجهها الرقيق يحمل خليطا من القلق واللهفة والحنـان ، وهى تلوح لـ (مفيد) بكفها الصغير ، وهم (مفيد) بالاندفاع نحوها ، ولكنها لوحت له ، قائلة :

ــ ليس الآن .

ثم اضافت فى حنان وتعاطف :

ــ البقية فى حياتك .. لقد اتيت لتعزيتك .

هتف بها فى خفوت :

ــ اريد ان اراك .

ترددت لحظة ، ثم اجابته :

ــ الليلة ، فى نفس الموعد والمكان .

غمغم :

ــ فليكن .

اسرعت تنصرف مبتعدة ، وتابعها هو ببصره ، وقلبه يخفق خلفها ، وعاوده كل شوقه وحنينه إليها ، ثم لم يلبث ان شعر بغتة بتأنيب الضمير ؛ لانه يفكر فى هذا ، ولم يمض سوى يوم واحد على وفاة ابيه ، فتمتم فى توتر :

ــ يا لها من حياة !

والقى نظرة اخرى على (حافظ) الجامد ، ثم اتجـه إلى حجرة استقبال الضيوف ، ووقع بصره فيها على (حسين) والحاج (سعفان) ، و (ماهر) ووالده الحاج (سليمان) ،

وزوجى شقيقتيه (نعيمة) و (توحيدة) ، ولم يكد الحـاج (سعفان) يلمحه ، حتى نهض يصافحه ، قائلا :

ــ رحم الله والدك يا ولدى .. كان خير الرجال .

شكره (مفيد) بتمتمة مبهمة ، واتخذ مكانه وسط المجلس، وساد الصمت لحظات ، قبـل ان يتنحنح (عمـر) ، زوج (نعيمة) ، ويقول بصوت مرتفع :

ــ البقاء لله ..

همهم الجالسون بعبارات مبهمة ، يصعب تمييزها ، وعاد الصمت يغلف المجلس مرة اخرى ، قبل ان يقول (عمر) :

ــ اظن الأمر سيحتاج بعض الوقت ، لإتمام الإجراءات .

التفت إليه الجميع فى دهشـة ، وساله (حسين) فى شىء من الحدة :

ــ اية إجراءات ؟

رسم (عمر) على شفتيه ابتسامة بلهاء ، وهو يقول :

ــ إجراءات الميراث .

بدا الجواب اشـبه برنين حاد ، انطلق بغتة فى حجـرة صامتة ، فساد صمت تام بعده ، والجميع يحدقون فى وجـه (عمر) ، فى مزيج من الدهشـة والاستنكار ، قبل ان يهتف (عبد الحكيم) ، زوج (توحيدة) :

ــ أهذا وقت الحديث عن الميراث يا رجل ؟

قال (عمر) فى حدة :

ــ وماذا يمنع ؟

هتف (عبد الحكيم) غاضبا :

— الرجل لم يبرد فى قبره بعد .

قال (عمر) فى تبجح :

— الحق لا يعرف موعدا .

كاد (عبد الحكيم) ينفجر فى وجهه مرة اخرى ، لولا أن قال (حسين) فى صرامة :

— اى حق يا رجل ؟

التفت إليه (عمر) ، وقال :

— حق الجميع .. السنا كلنا شركاء فى هذا الميراث ؟.. لقد تركت لكم الحكومة مائتى فدان ، وسيبلغ نصيب زوجتى منها ما يقل قليلا عن عشرين فدانا و ..

بدا الغضب على وجه (حسين) ، وهب من مقعده بحركة حادة ، فهتف (عمر) ، وهو يتراجع حاميا وجهه بذراعه :

— إننى اطالب بحق زوجتى فحسب .

صاح (حسين) غاضبا :

— انت احقر مخلوق رايته فى حياتى .

هتف (عمر) :

— إنه حق .

تنحنح الحاج (سعفان) ، وقال مترددا :

— ليس لك الحق فى قيراط واحد يا (عمر) .

التفت إليه (عمر) ، صارخا :

— هل تجامله يا حاج (سعفان) ؟.. الشرع لا يقبل المجاملة .. ستصادر منهم الحكومة ثمانمائة فدان ، وستترك مائتين ، وستوزع الأفدنة الباقية على الجميع ، وبحسبة

بسيطة ستجد ان نصيب زوجتى هو واحد من احد عشر نصيبا ، و ...

قاطعه الحاج (سعفان) فى صرامة :

— قلت لك إنك لن تحصل على قيراط واحد .

صاح (عمر) ، وقد أفزعه مجرد تصور عدم حصوله على شىء :

— ماذا تعنى يا حاج (سعفان) ؟

أما (مفيد) فقد شعر بالقلق ، وهو يغمغم :

— ماذا تقول يا حاج (سعفان) ؟

أطلق الحاج (سعفان) من صدره زفرة قوية ، وقال :

— أنتم تعلمون جميعا ان الحاج (البنهاوى) كان يحلم دوما بأن يمتد اسمه إلى عشرات الأجيال ، و ...

قاطعه (حسين) فى توتر صارم :

— لا داعى للمقدمات الطويلة ، ادخل فى الموضوع مباشرة .

تنحنح الحاج (سعفان) ، وبدا الحرج على وجهه ، وهو يقول :

— الواقع ان الحاج (البنهاوى) (رحمه الله) ، لم يترك ميراثه للتقسيم الشرعى .

ثم اشاح بوجهه ، وكأنما يتجنب مواجهة الموقف ، قبل ان يستطرد :

— لقد كتب أرضه كلها لـ (حسين) .. (حسين) فقط .

* * *

١٩ ــ الظــلم ..

حدق الجميع فى وجه الحاج (سعفان) فى ذهول ، وكان اكثرهم ذهولا هو (حسين) نفسه ، الذى كان ايضا اول من تحدث ، مغمغما :

ــ لى انا ؟!



اوما الحاج (سعفان) براسه إيجابا ، وقال متحاشيا النظر فى وجوه الجميع :

ــ لقد كان (رحمه الله) يخشى أن تتفتت الأرض من بعده ، وأن يسىء كل منكم التصرف فى نصيبه منها ؛ لذا فقد واتته تلك الفكرة ، ولقد حاولت أنا إثناءه عنها ، وإقناعه بترك الشريعة لمجراها ، ولكنه أصر على أن يكتب أرضه كلها باسم (حسين) ، بعقود بيع صحيحة ، سدد عنها الرسوم المطلوبة كاملة ، على أن يتولى (حسين) مهمة الإنفاق على الجميع ، ومنحهم انصبتهم الشرعية من إيراد الأرض سنويا .

هتف (عمر) محنقا :

ــ ولكن هذا ظلم .. ظلم بين .

صرخ (حسين) فى وجهه :

ــ تحشم يا رجل .. إنها إرادة ابى .

صاح (عمر) محتجا :

ــ إرادته تتجاوز شرع الله ؟

صرخ (حسين) بكل صرامته :

ــ اخرس .. لا تنطق بكلمة واحدة ضد ابى ، وإلا القيت بك فى السجن .

انكمش (عمر) فى مقعده ، وهو يعلم أن منصب (حسين) الجديد يمنحه القدرة على تحويل تهديده إلى حقيقة ، خاصة وان طبيعة (حسين) لا تجعله يتورع عن ذلك ، وران صمت قصير على المكان ، والجميع يتطلعون فى وجوه بعضهم البعض فى حيرة ودهشة ، قبل ان يشق صوت (مفيد) حاجز الصمت ، وهو يقول :

ــ إنه حقا ظلم .

التفت إليه (حسين) فى حركة حادة عنيفة ، وبوجه يحمل كل الغضب والاستنكار ، فرفع (مفيد) صوته ، مكررا فى حزم :

ــ إنه حقا ظلم .. ليس من حق مخلوق فى الكون كله ان يخالف قانون الخالق .

هتف (حسين) فى غضب :

ــ اصمت .

ولكن (مفيد) تابع متجاهلا الأمر :

ــ لقد حــدد الخالق (عز وجل) كل قواعد الإرث ، ولن

نبلغ حكمته سبحانه ابدا ، مهما بلغنا من الشـــأن والقــوة والحكمة ، والواجب هو ان نطيعه دون نقاش ، ودون تحوير لأوامره .

هتف به (حسين) مرة اخرى :

— قلت لك اصمت .

قال (مفيد) فى صرامه :

— لا .. لن اصـمت عن الحق .. السـاكت عن الحق شيطان اخرس .. إن ما حدث ظلم .. ظلم .. ظلم .

صاح (حسين) فى غضب :

— هكـذا ؟! .. وماذا لو ان ابى قـد منحك انت الأرض كلها ؟.. اكنت ستجد الأمر ظلما ايضا ؟

لوح (مفيد) بكفه فى مرارة ، واستدار متجها إلى الخارج ، فصرخ به (حسين) فى ثورة :

— إلى اين ؟.. إننى لم اتم حديثى بعد .

اجابه (مفيد) فى غضب :

— سأنصرف يا (حسين) .. سأنصرف قبل ان اختنق .

ثم التفت إليه ، مستطردا فى حنق :

— وحتى لا نوصم دوما باننا ، فى ليلة دفن والدنا ، قد رحنا نتشاجر من اجل الميراث .

واندفع يغادر المكان فى حدة واضحة ، فهتف (حسين) فى غيظ :

— غبى !

نهض (ماهر) ووالده ، وقال الأول فى حياء :

— اظن انه قد حان وقت الانصراف .. البقية فى حياتك انت يا (حسين) بك .

غمغم (حسين) فى اقتضاب :

— شكرا .

صحبهما الحاج (بسعفان) فى انصرافهما ، دون أن يتبادل كلمة واحدة مع (حسين) ، سوى أن غمغم وهو يصافحه :

— كل الأوراق ستجدها فى دولاب والدك .

صافحه (حسين) فى صمت ، وودعه حتى بوابة السراى ، ثم عاد إلى حجرة استقبال الضـيوف ، وتطـلع إلى زوجى شقيقتيه فى تحد سافر ، وهو يقول :

— ما رايكما فيما سمعتماه ؟

عقد (عمر) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

— سنقول راينا فى المحكمة .

وهب مغادرا المكان فى غضب ، وهو يهتف باسم زوجته ، التى لحقت به فى سرعة ، وتبعته فى انكسار وحزن ، وبطنها الممتلئة بجنينها الأول تترجرج امامها ، فى حين سأل (حسين) (عبد الحكيم) فى صرامة :

— ما رايك انت ؟

تبـادل معه (عبد الحكيم) نظرة متحدية ، قبل ان ينهض قائلا :

— لم نكن ابدا فى حاجة إلى اموال والدك .

ولم يلبث ان انصرف مع زوجته فى صمت ...

وبقى (حسين) وحده ..

والعجيب انه ، على الرغم من حزنه لوفاة والده ، قد شعر فى تلك الليلة بنشوة عجيبة ..

نشوة القوة ...

* * *

كان (مفيد) يحتاج حقا إلى لقاء (مديحة) هذا المساء ..

إنه لم يرها منذ زمن طويل ..

منذ كشف والدها الحاج (اسماعيل) طبيعة العلاقة بينهما ..

وهو يشعر بشوق هائل إليها ..

ثم إنه يحتاج إلى من يستمع إلى احزانه ولوعته ، وإلى من ينتشله من ذلك الشعور العام بالاختناق ، الذى أورثته إياه وصية والده ..

كان يشعر ان هذا ظلم مجحف ..

ظلم بين ..

لماذا فعل والده هذا ؟..

لماذا خالف مشيئة الخالق (عز وجل) ، ومنح (حسين) وحده الثروة كلها ؟..

لم يكن حزن (مفيد) من اجل الثروة ، ولا من اجل فوز (حسين) بالغنيمة كلها ، ولا حتى من اجل فقدان الأرض التى يعشقها ..

وإنما كان من اجل الظلم ..

لم يكن يحتمل ابدا مبدا الظلم ..

ابدا ..

انتزعه من افكاره صوت (مديحة) ، وهى تهمس :

— (مفيد) .

التفت إليها بكل جوانحه وجوارحه ..

.. بكل شوقه وحبه ..

بكل لهفته ولوعته ..

ولم تكد تلقى كفيها الرقيقتين فى راحتيه ، وقلبها يرتجف



حبا وشوقا ، حتى كاد يضمها إلى صدره ، ويفرغ على شفتيها لواذع قلبه ، لولا ان اخلاقه وشهامته قد منعاه من تدنيسها بفعل حرمه الله (سبحانه وتعالى) إلا على الأزواج ، فهتف فى همس يحمل كل الحب :

ـ أوحشتنى .

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، مغمغمة :

ـ وانت .

جلسا متجاورين فوق العشب الطرى ، عند جذع الشجرة الكبيرة ، وتشبثت اصابع كل منهما بكف الآخر ، وهما يلتهمان وجهى بعضهما البعض ، بنظرات ملؤها اللهفة والشوق والحب ، حتى همست (مديحة) :

ـ البقية فى حياتك .

غمغم :

ـ اشكرك .

ثم سالها فى خفوت :

ـ هل يعلم والدك انك هنا ؟

تمتمت وهى تملأ عينيها بوسامته :

ـ إنه يتظاهر بانه لا يعلم ، ولكننى واثقة من معرفته بلقائنا ، ويبدو انه يعلم كم تعانى ، ولم يشأ منعى من التخفيف عنك .

تنهد مغمغما :

ـ والدك رجل رائع يا (مديحة) .

تنازعته عوامل شتى ، ما بين لهفته للقياها ، وذلك الوعد الذى قطعه بأن تكون علاقتهما واضحة نظيفة ، ثم لم تلبث اخلاق الفارس فى اعماقه ان انتصرت ، فنهض قائلا فى حزم :

ـ (مديحة) .. صحيح أننى اتلهف شوقا لقضاء حياتى كلها معك ، ولكن لابد لك من العودة إلى منزلك .

سالته فى دهشة وخوف :

ـ لمـــاذا ؟.. ماذا حدث ؟

امسك كتفيها بكفيه ، وتطلع إلى عينيهــا مباشرة ، وهو يقول :

ـ اسمعى يا (مديحة) .. لقد كنت اذوب طلبا للقائنــا معــا ، وكان لدى الكثير لالقيه على مسامعك ، إلا اننى قد قطعت وعدا بعدم لقائك سرا مرة اخرى .

سالته فى دهشة :

ـ لمن قطعت هذا الوعد ؟

اجابها فى حزم :

ـ لا عليك فى هذا .. المهم اننا لن نلتقى مرة اخـرى ، إلا على نحو رسمى وشرعى تماما ، وعلينا ان نحتمل الفراق ، حتى يأتى ذلك اليوم .

ترقرقت الدموع فى عينيها ، مع حيرتها وقلقها ، فرسم على شفتيه ابتسامة ، وهو يضيف :

ـ ولن يتأخر ذلك اليوم يا (مديحة) .. لن تمض شهور قليلة ، إلا وتصيرين .

اتسعت ابتسامة ، وهو يضيف فى حنان :

ـ زوجتى ..

وانطلقت فى قلبها زغرودة فرح قوية ..

* * *

حافظت (زينب) على ثباتها وتماسكها ، حتى أوى الجميع إلى فراشهم ، ثم اندست فى فراشـها ، وتركت لدموعهـا العنان ..

وانسكبت دموعها تغرق وسادتها ..

لقد أحبت والدها كما لم تحب فتاة والدها ..

كان لها بمثابة مثل أعلى ، وصرح تحترمه وتوقره ..

إنهـا حتى ، فى اختيارها لـ (ماهر) ، كانت تحب تلك الصورة فيه ، التى تذكرها بكفاح والدها فى شبابه ..

صورة الشاب المقاتل ، الذى لا يتراجع أمام الصعاب ..

لهذا تحب (ماهر) ..

ولهذا تتمنى أن تتزوجه ..

فجاة امتلأت نفسها بعذاب الضمير ..

كيف تفكر فى الزواج ، ولم يستقر والدها فى قبره سوى صباح اليوم ؟..

آلمتها الفكرة ، فانهمر مزيد من الدموع من عينيها ، ودفنت وجهها فى الوسادة فى شدة ..

ولكن (ماهر) ظل يلح على أفكارها ..

ودون وعى ، عادت تفكر فى أمره ..

ترى هل تحبه حقا ، أم تحب فيه صورة شـباب والدها فحسب ؟..

بدا لهـا أن الوسيلة الوحيدة للتيقن من هـذا هـو أن تتزوجه ، وبعدها سيتضح لها الأمر ..

راودتها فجاة فكرة عجيبة ، خفق لها قلبها ..

ـ هل ستتزوج (ماهر) حقا ؟..

لقد وافق والدها على إتمام هذا الزواج ، ثم رحل ، وترك كل شىء لـ (حسين) ، فهل يوافق (حسين) على ما وافق عليه والده ؟.

لا أحد يدرى ..

لقد انتهى عهد (محمد البنهاوى) ..

وبدأ عهد (حسين البنهاوى) ..

ومن المستحيل أن يتساوى العهدان ، وأن يتشابها..

هذا هو المستحيل بعينه ..

* * *



٢٠ ــ القفــزة ..

ابتسم العمــدة ابتسامة باهتــة ، وهو ينهض لاستقبال المأمور فى ساحته ، وصافحه فى هدوء ، قائلا :

ــ صباح الخير يا (باشا) .

تلفت المأمور حوله فى جزع ، وهو يقول :

ــ صه يا رجل .. لا تخرب بيوتنا .. لقد الغوا الالقاب .

ضحك العمدة ، وهو يقول :

ــ الغوا الالقاب الفعلية يا سـعادة المـأمور ، وليس الشرفية .

عقد المأمور حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ــ ماذا تقصد ؟

ضحك العمدة مرة اخرى ، قائلا :

ــ لا شىء يا سعادة المـامور .. لا شىء .. ما رايك فى قدح من الشاى ؟ •

جلس المأمور إلى جواره ، وهو يقول فى صرامة :

ــ قبل تناول الغذاء ام بعده ؟

أطلق العمدة ضحكة خبيثة ، وقال :

ــ قبله وبعده .. نحن رهن إشارتك يا سعادة المأمور .

لم تمض إلا دقائق حتى وصلت اقداح الشاى ، وارتشف المأمور رشفة من قدحه ، قبل ان يقول فى مرارة :



ــ ارايت ما آل إليــه الامــر يا عمــدة ؟.. لقــد مات (البنهاوى) ، وترك كل شىء لابنه (حسين) ، الذى اصبح احد اصحاب الشان فى العهد الجديد ، وخسرنـــا نحن كل شىء .

ابتسم العمدة فى دهاء ، وهو يقول :

ــ خسرنا ؟!.. من قال هذا يا سعادة المأمور ، كل ما فى الأمر هو ان اللعبة قد اتخذت مســارا جديدا ، يتناسب مع متغيرات الحياة .

قال المأمور صارما :

ــ لن يمكننا محاربة (حسين البنهاوى) الآن يا عمدة .

أطلق العمدة ضحكة صفراء ، وقال :

ـ لماذا يا سعادة المامور ؟.. الانه يتمسح فى ركب رجال حركة الجيش ؟ .. لا يا باشـــا .. عيبك هو أن تلك الأمور تبهرك ، وتلغى قدرتك على حسن تقديرك للامور ، ولكن من حسن الحظ انها لا تفعل هـــذا بى ، فـ (حسين) الآن ليس سوى تابع يخشى فقدان موقعه ، وامثاله يدفعهم التوتر إلى الحذر الزائد ، فى نفس الوقت الذى يدفعهم فيه الإحساس بالقوة إلى إبراز مواطن سطوتهم ، وهـــذا التناقض يوقعهم عادة فى حماقات يسهل تحطيمهم بواسطتها .

ساله المامور مبهوتا :

ـ اتظن هذا ؟

رفع العمدة قدح الشاى إلى شفتيه ، وهو يقول :

ـ بالتاكيد يا سعادة المامور .. إن الامور لم تختلف كثيرا كما اخبرتك .

وارتشف رشفة كبيرة من الشاى ، فى صوت مسموع ، قبل ان يضيف :

ـ وحربنا مع عائلة (البنهاوى) لم تحسم بعد ..

* * *

ابتسم (رفعت كساب) فى إعجاب ، عندما راى (حسين) يخطو إلى مكتبه ، بعد ثلاثة ايام فقط من وفاة والده ، ويؤدى التحية العسكرية فى قوة ، فمد يده يصافحه ، وهو يقول :

ـ لمـــاذا لم تتم إجازتك ؟

اجابه (حسين) :

ـ أحب ان ادفن احزانى فى عملى يا سيدى .

أوما (رفعت) براسه ، وقال :

ـ رائع .. هكذا احب الرجال .

ثم جلس ، وتراجع فى مقعده ، واستطرد فى اهتمام :

ـ كيف حال تدريباتك ؟

أجابه (حسين) وكانما كان ينتظر هذا السؤال :

ـ إننى اتقدم فى سرعة ، ولكن ..

ساله (رفعت) فى قلق :

ـ ولكن ماذا ؟

عقـــد (حسين) حاجبيه ، وكانما يوحى باهمية الأمـــر وخطورته ، قائلا :

ـ لست اثق فى إخلاص هذا الرجل ، او ولائه للحركة .

ساله (رفعت) :

ـ انتقصد (إبراهيم مكى) ؟

أوما (حسين) براسه إيجابا ، وهو يجيب :

ـ ومن غيره ؟

استرخى (رفعت) فى مقعده مرة اخرى ، وهو يساله :

ـ وما الذى يجعلك تشك فى امره ؟

اجابه (حسين) فى سرعة :

ـ إنه يتعامل مع الأمر فى سخرية ، كما لو كان لا يثق فى استمرار نجاح حركة الجيش .

ساله (رفعت) فى لهجة توحى بانه لم يهتم كثيرا بالنقطة الاولى :

ـ وماذا ايضا ؟

ارتبك (حسين) ، وبدا له ان محاولته قد باءت بفشل ذريع ، وتمتم :

— إنه .. إنه ..

ثم اندفع فجاة يستطرد :

— إنه احد اعضاء البوليس السياسى سابقا .

ابتسم (رفعت) ، وهو يقول :

— اهذا هو اسلوب تفكيرك ؟

زاد هذا من ارتباك (حسين) ، فقال متوترا :

— إننى لا اثق فيه فحسب .

تأمله (رفعت) لحظة فى صمت ، ثم نهض يربت على كتفه ، قائلا :

— اسمع يا (حسين) .. سبق ان اخبرتك اننا نحتاج إلى خبرة (إبراهيم مكى) ، واننا لانهتم كثيرا بولائه للحركة من عدمه ، ولكن من الواضح انك تكرهه للغاية ، وانك تحاول إقصاءه بوسائل صبيانية .

تمتم (حسين) فى توتر :

— سيدى .. إننى ..

قاطعه (رفعت) مبتسما :

— لست اريد تفسيرات او تبريرات .. سنعتبر انك لم تقل شيئا ، واننى لم اسمع شيئا .. قل لى : ما رايك لو تصحبنى إلى نادى الجزيرة ؟

هتف (حسين) مبهورا :

— نادى الجزيرة ؟!.. الا يقولون إن هذا النادى يقتصر على الأمراء ، و ...؟

لوح (رفعت) بكفه ، قائلا :

— لقد مضى هذا العهد .. ستفتح ابواب نادى الجزيرة للشعب .. إنه عصر المساواة ..

ثم عاد يبتسم ، مستطردا :

— والآن هيا بنا .. ستجد الجميع هناك .

ابتهج (حسين) ، وشعر بالفخر كثيرا ، وهو يجلس إلى جوار (رفعت) ، فى سيارة الجيش ، التى نقلتهما إلى نادى الجزيرة ، وشعر وهو يخطو بقدميه على أرض النادى ، انه قد قفز قفزة اجتماعية خطيرة ..

لقد استطاع دخول نادى الجزيرة ، الذى لم يكن يسمح بدخوله فيما مضى ، سوى لحاملى الألقاب الرسمية واسرهم ، من الأمراء والبشوات ..

وفى كثير من الزهـو ، صحب (رفعت) إلى تلك القاعة الأنيقة ، التى ما زالت تحمل شعار الملكية ، والتى صارت منذ قيام حركة الجيش مقرا لاجتماع مجلس قيادة الحركة ، وقتما يحلوا لأعضائه ..

والتقى (حسين) — للمرة الثانية فى حياته — بالضباط الأحرار ، وصافحهم واحدا واحدا ، وبخاصة ذلك الشاب الطويل ، ذو العينين اللامعتين ، الذى يحمل اسم (جمال عبد الناصر) ..

وداعبه (عبد الحكيم) ، وهو يتمنى له حظا سعيدا فى النادى ، غامزا بعينيه على نحو خاص ، فى حين قال (صلاح سالم) فى حزم :

— معذرة يا فتى .. هـذا الاجتماع يقتصر على اعضـاء مجلس القيادة فحسب ..

ارتبك (حسين) ، واحتقن وجهه خجلا ، فابتسم (رفعت) ، وربت على كتفه ، قائلا :

— لا تتوتر إلى هذا الحد .. هيا .. اذهب وامرح قليلا فى النادى ، وسنرحل معا .

غمغم (حسين) :

— شكرا يا سيدى .

غادر القاعة الفاخرة ، وهو يلقى نظرة اخيرة على التاج الملكى ، الذى يزين احد جدرانها ، وراح يسـير فى حديقة النادى على غير هدى ، حتى سمع صوتا انثويا بالغ الرقة ، بدا فى اذنيه اشبه بتغريد عشرات البلابل ، يقول :

— انت احدهم ؟

التفت إلى مصدر الصوت بكيانه كله ، وتطلع مسحورا إلى شـابة فاتنة ، لها بشرة فى لون اللبن ، المختلط بقطرات من عصير الفراولة ، وعنق ناعم طويل ، وشعر اسـود فاحم طويل ، ينسدل على كتفيهـا فى رقة ونعومة ، ويصـنع من وجهها لوحة رائعة ، بعينيها الواسعتين الخضراوين ، وفمها الدقيق السـاحر ..

وابتسمت تلك الفاتنة ابتسامة تؤكد ثقتهـا فى سحرها ، وفى تأثيرها عليه ، وقالت بصوت اكثر رقة :

— اما من جواب ؟

تمتم مسحورا مأخوذا :

— جواب لمـاذا ؟

اتسعت ابتسـامتهـا ، فبدت اكثر جمالا من (أفروديت) نفسها ، وهى تقول :

— سألتك الانت احدهم ؟

تمتم مبهورا :

— أحد من ؟!

اطلقت ضحكة عذبة قصيرة ، اختلج لها قلبه بين ضلوعه ، وهى تقول :

— احد الضباط الأحرار بالطبع .

اجابها فى خفوت :

— لا .. لست احدهم .

ثم استدرك فى سرعة :

— ولكننى اعمل معهم .. إننى الذراع اليمنى للبكبـاشى (رفعت كساب) .

رفعت حاجبيها الرفيعين الجميلين ، وهى تقول :

— إذن فانت رجل ذو شان .

هتف فى حماس :

— بالطبع .

تأملته لحظـات بعينيهـا السـاحرتين ، قبل ان تقول فى خفوت :

— اتعلم انك وسيم جدا ؟

لم يصدق أذنيه ، وهو يسمع تلك العبارة ، من فاتنة مثلها ، فهتف :

ـ انا ؟

ثم استدرك :

ـ اشكرك يا سيدتى .

رفعت راسها فى ترفع ، وهى تقول :

ـ الأميرة (عايدة) .

هتف مبهورا ، وهو يملأ عينيه بوجهها وفتنتها مرة اخرى :

ـ اميرة ؟

قالت فى لهجة تحمل شيئا من السخرية :

ـ ايبهرك ان تتحدث إلى اميرة ؟

لم ينتبه إلى الرنة الساخرة فى صوتها ، وهو يقول :

ـ بل يسحرنى ان اتحدث إلى فاتنة مثلك .

ابتسمت شأن امراة نجحت فى إغواء رجل ، وقالت فى هدوء :

ـ اشكرك .

ثم استدارت تنصرف فى هدوء ، فاستوقفها هاتفا :

ـ اهذا كل شىء ؟

التفتت إليه تسأله فى رصانة :

ـ ماذا تعنى ؟

ارتبك وهو يقول :

ـ أعنى الن نلتقى مرة اخرى ؟

ابتسمت قائلة :

ـ سأفكر فى هذا .

ثم اضافت فى سرعة :

ـ إننى آتى إلى هنا كل يوم .

وابتعدت فى خطوات رقيقة سريعة ، وهى تعلم انها قد تركت خلفها رجلا مسحورا ..

رجلا قفز قفزة واسعة ..

فى سماء الحب ..

* * *





٢١ ـ قضية ..

أطلق (حسين) صفيرا منغوما من بين شفتيه ، وهو يرتدى ثيابه فى الصباح التالى ، وتضاعفت داخله تلك الفكرة ، التى تراود عقله منذ زمن ، فى أن يبحث عن شقة أنيقة فى (القاهرة) لسكناه ، بعد أن مل السفر يوميا إلى هناك ، وبدا شديد الاهتمام بزيه هذا الصباح ، وشديد العناية بالنجوم التى تزين كتفيه ، وكأنما يسعى إلى إبراز رتبته جيدا ، وبدا مرحا للغاية، حتى أنه قد ابتسم ابتسامة واسعة فى وجه (مفيد) ، وهو يدلف إلى حجرته ، وقال له فى مرح واضح :

ـ صباح الخير يا (مفيد) .. كيف حالك ؟

جلس (مفيد) على طرف فراش شقيقه ، وهو يقول :

ـ فى خير حال .. ولكن (حافظ) ليس كذلك ؟

سأله (حسين) بنفس المرح :

ـ لماذا ؟

أجابه (مفيد) فى حدة مباغتة :

ـ إنك لا تهتم بشأنه قط يا (حسين) ، على الرغم من أنه مصاب بنوع من الانهيار العصبى الفائق ، حتى أنه لم يذرف قطرة دمع واحدة ، حزنا على والدنا ، إلى هذه اللحظة .

عقد (حسين) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ الرجال لا يبكون .

صاح (مفيد) :

ـ هذا القول لا ينطبقَ على (حافظ) .. أنت تعلم أنه

ضعيف الشخصية ، ولا يحتمل الصدمات عادة ، ومن الواضح أن وفاة والدنا قد أصابته بصدمة شديدة .

قال (حسين) فى حدة :

— لست طبيبا متخصصا لتقول هذا .

لوح (مفيد) بذراعه ، قائلا :

— فلنسمع قول طبيب متخصص إذن .

صمت (حسين) ، وهو يتطلع إليه ، قبل أن يقول مستنكرا :

— أتريد أن تعرض (حافظ) على طبيب نفسانى ؟

قال (مفيد) :

— ولم لا ؟

صاح (حسين) غاضبا :

— ألا تدرك طبيعة وضعى ومركزى الآن .. أتريد أن يقال إن شقيق (حسين البنهاوى) مصاب بالجنون ؟

هتف (مفيد) :

— أليس هذا أفضل من أن يصاب بالجنون بالفعل ؟

صاح (حسين) :

— ومن أدراك أن هذا سيحدث ؟

— ومن أدراك أنه لن يحدث ؟

— هذه الأمور فى علم الغيب .

— ولكن الله (سبحانه وتعالى) أمرنا بالأخذ بالأسباب .

— لا ترتد عباءة الدين .

— ولا تنزع أنت معطف العلم .. شقيقنا يتعرض لأزمة نفسية عنيفة .

وصمت لحظة ، قبل أن يتابع فى مرارة :

— ولو كان أبى حيا ما تركه هكذا .

ران الصمت لحظات ، و (حسين) يتطلع إليه فى غضب ، ثم قال فى صرامة :

— لو ...

واندفع يغادر الحجرة كالعاصفة ، فعض (مفيد) شفتيه فى غيظ ، مغمغما :

— صدقت (زينب) .. لقد بدأ عهد جديد ..

* * *

لم يدر (ماهر) ما الذى يمكن أن يحدث ، بشأن زواجه من (زينب) ، بعد وفاة (البنهاوى) ، وشعر بالحرج من مناقشة الأمر ، فى مثل هذه الظروف ، ولكنه راح يسير جيئة وذهابا من أمام السراى ، وتحت نافذة حجرة (زينب) ، وهو يأمل رؤيتها يوما ، دون أن يدرى أن المسكينة كانت تراقبه من فتحات النافذة الخشبية ، وقلبها يخفق فى لوعة وأسى ، ويحاول إقناعها بمناداته ، ولكن عقلها يعود فيستنكر مجرد التفكير فى أمر الزواج من (ماهر) ، وهى لم تخلع ثوبها الأسود بعد ..

وفى هذه الليلة بالذات لم تعد تحتمل ، فلم تكد تلمحه يسير أسفل النافذة ، حتى فتحتها ، وأطلت عليه دون أن تنبس ببنت شفة ..

ولم ينبس هو أيضا ببنت شفة ..

فقط اختلج قلباهما فى حب ولهفة ، وكل منهما يملأ عينيه بملامح الآخر ..

لحظتها فقط ادركت (زينب) أنها تحب (ماهر) ..

لحظتها فقط حددت مشاعرها نحوه ..

وبكل الحب ، لوحت له بكفهـا ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة حانية محبة ، اختلطت بخيطين من الدموع الصامتة ، انحدرا على وجنتيها ..

ودون ان تنطق السنتهما حرفا ، دار بينهما حوار طويل :

ـ احبك ..

ـ وانا ايضا ..

ـ طال اشتياقى إليك ..

ـ لن يبلغ شوقى .

ـ ترى هل نلتقى ؟ ..

ـ إننى احلم بهذا .

ـ متى ؟

ـ من يدرى ؟

ـ سأنتظر ..

ـ لن يطول الانتظار بإذن الله .

وفى حنان ، مال (ماهر) على اناملـه ، واودعها قبلة دافئة ، ثم رفع كفه إلى شفتيه ، ودفع القبلة إلى شفتى (زينب) بنفخة هادئة كالنسيم ..

وتلقت (زينب) القبلة على شفتيها ، كمـا لو ان (ماهر) يحتويها بين ذراعيه ، على الرغم من الأمتار التى تفصل بينهما، وهى تطل عليه من نافذة الطابق الثانى ..

وفى صعوبة ، انتزع هو قدميه من الأرض انتزاعا ..

وفى عسر ، جذبت هى ضلفتى النافذة الخشبية ..

وافترق الحبيبان وقد بردت نار شوقهما قليلا ..

افترقا على وعد بلقاء غامض ..

لقاء لا يدرى سوى الله وحده ، أيتم فى هذه الدنيا ..؟ أم فى دار البقاء ..؟

* * *

ابتسمت الأميرة (عايدة) ابتسامة هادئة واثقة ، عندما رأت (حسين) يعبر بوابة نادى الجزيرة ، وعيناه تبحثان عنها فى لهفـة ، وتعمدت تركه يبحث عنها لحظات ، قبـل أن تلوح له بيدها ، هاتفة :

ـ أنا هنا .

تهللت أساريره كلها ، وهو يتجه نحوها فى خطوات أشبه بالعدو ، قبل أن يهتف :

ـ كيف حالك ؟

ضحكت قائلة :

ـ هذه الاستهلالية تناسب الرجال لا النساء .

غمغم خجلا مرتبكا :

ـ معذرة .

امسكت كفه فى بساطة ، وهى تبتسم فى دهاء ، وكأنما تعلم جيدا تأثير ملمس أناملهـا الرقيقة لكفـه ، وقادته إلى مائـدة منعزلة ، فى شرفة النادى ، وقالت :

ـ كنت أعلم أنك ستأتى .

هتف بها فى حماس :

ـ ما كنت لأتأخر أبدا .

ابتسمت فى ثقة ، وكأنما راق لها الجواب ، أو كانت تتوقعه، ثم سألته فى اهتمام :

— كيف حال عملك مع (رفعت كساب) ؟

اجابها فى زهو :

— عظيم .. إننى استعد لتقلد منصب كبير ، فى إدارة جديدة ، ستصبح اقوى سلطة فى الدولة يوما ما .

قالت فى حماس :

— رائع .

ثم مطت شفتيها ، مستطردة :

— على الرغم من اننى لا اؤيد هذه الحركة كثيرا .

سالها فى دهشة :

— لماذا ؟

اجابته فى ضحكة عصبية :

— اتسالنى ؟ .. لقد اتيتم للقضاء علينا ، ولتجريدنا من كل القابنا وممتلكاتنا .

قال محاولا الدفاع :

— إننا نهدف إلى المساواة .

قالت ساخرة :

— اية مساواة ؟ .. حتى بين المتسولين توجد فروق ، فهناك من يراس آخرين ، ومن يتسول فى مناطق راقية ، وهناك من يراسه غيره ، ولا يملك حتى نصف ما يتسوله .

سالها فى دهشة :

— وكيف تعلمين امرا كهذا ؟

قالت ساخرة :

— من الروايات .

ثم مالت نحوه ، تضيف فى تحد :

— اخبرنى ما الذى فعلته حركتكم هذه حتى الآن ..؟ .. لم تفعل سوى التدمير .. إلغاء الألقاب ، مصادرة اموال وممتلكات اسرة (محمد على) ، منع السفر خارج البلاد بدون تصاريح خاصة ، اعتقال السياسيين .. قانون الإصلاح الزراعى ونزع الملكية .. اهكذا ترون الثورية ؟.. منع نقط ؟

ارتبك وهو يقول :

— إنها مجرد مرحلة ، ثم ..

قاطعته ساخرة :

— ثم ماذا ؟ .. هل ستذبحوننا ؟

زفر فى ضيق ، وهو الذى كان يتوقع لحظات عاطفية سعيدة ، لا هجوما شرسا ، وقال :

— يبدو انك تنظرين إلى الثورة بمنظار اسود .

قالت فى سخرية :

— ثورة ؟!.. هل اطلقتم على انقلابكم هذا اسم الثورة ؟

ثم لوحت بكفها ، مستطردة :

— هذا لا يغير من الأمور شيئا على اية حال .. فلتكن ثورة .. سيضفى هذا عليها لمسة شاعرية على الأقل .

عقد حاجبيه ، قائلا :

— اهذا كل ما سنتحدث فيه ؟

ضحكت قائلة :

— لا بالطبع .. إنه مجرد حوار .. ثم إننى لست ناقمة عليكم على اية حال ، على الرغم من انكم قد استوليتم على بعض مجوهراتى .. اعنى كلها .

ثم مالت نحوه بغتة ، مستطردة :

— قل لى : اين تقيم ؟

أدهشه السؤال ، ولكنه اجاب فى سرعة :

— فى سراى والدى ، فى قريتنا .

رفعت حاجبيها ، هاتفة فى دهشة :

— سراى ؟!.. إذن فانت احد اعيان الريف .

ثم رسمت على شفتيها ابتسامة ساحرة ، وهى تستطرد :

— ولماذا لا تقيم فى (القاهرة) ؟

تمتم وكأنما لم تخطر الفكرة بباله ابدا :

— هنا ؟

مالت نحوه ، وهى تقول فى همس :

— سيكون هذا افضل ، فلو انك تقيم هنا ، فسيمكننا ان نلتقى فى شقتك .

خفق قلبه ، وهو يقول :

— حقا ؟!

ازداد ميلها نحوه ، حتى شعر بأنفاسها العطرة تملأ انفاسه ، وهى تهمس :

— اليس هذا افضل من اللقاء هنا ؟

همس وقلبه ينبض فى عنف :

— بالتأكيد .. لقد حسمت قضية تشغل فكرى منذ زمن .

وضرب سطح المنضدة فى رفق ، مستطردا فى حزم :

— سأترك القرية ، واحيا هنا ، فى (القاهرة) ..

وبدأت ملامح العهد الجديد تتضح ..

* * *

٢٢ — مفاجأة ..

رفع (رفعت كساب) عينيه إلى (حسين) ، وتطلع إليه طويلا ، قبل ان يبتسم قائلا :

— تقيم فى (القاهرة) ؟!.. بالطبع .. هذا ما كان ينبغى لك أن تفعله منذ البداية .. ماذا ستفعل فى قريتك الصغيرة ؟.. المستقبل هنا .. فى قلب الثورة .

ونهض فى حزم ، مستطردا :

— سنبحث لك عن شقة انيقة واسعة ، تليق بك وبمنصبك الجديد .. ما رايك فى شقة على النيل ، فى (جاردن سيتى) ؟

لم يصدق (حسين) اذنيه ، وهو يهتف :

— هذا اروع مما تصورت يا سيدى .

قال (رفعت) فى حماس :

— فليكن .. لقد امرت الثورة بترحيل صحفى ارمنى خارج البلاد ، وشقته خالية فى الوقت الحاضر ، ويمكنك أن تتسلمها من الغد .

هتف (حسين) فى امتنان بالغ :

— كيف اشكرك يا سيدى ؟.. كيف ؟

رفع (رفعت) سبابته امام وجهه ، محذرا :

— ستدفع إيجارها بالطبع .

ضحك (حسين) ، وهو يقول :

— بالطبع .

ابتسم (رفعت) ، وهو يقول :

— بالمناسبة ، هناك شكوى مقدمة ضدك .

عقد (حسين) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :
ـــ ضدى انا ؟!
ضحك (رفعت) ، قائلا :
ـــ لا تقلق هكذا .. إنها شكوى تافهة ، قدمها زوج شقيقتك (عمر) إلى (محمد نجيب) نفسه ، يقول فيها إنك قد استوليت على ميراث والدك كله لنفسك ، ويطالب بالعدل والإنصاف .
هتف (حسين) فى غضب :
ـــ ذلك الحقير !! لقد كتب والدى الأرض كلها باسمى قبيل وفاته .
اجابه (رفعت) فى هدوء :
ـــ أعلم ذلك ، ولكن احد المحامين الكبار يقول : إنه لو استطاع اشقاؤك إثبات ان عقد البيع صورى ، وانك لم تملك ابدا ما يكفى ثمنا للأرض ، فسيمكنهم استصدار حكم بعدم صحة البيع ، وتوزيع الميراث شرعيا !
اندهش (حسين) لحظات ، ثم قال فى عصبية :
ـــ هذا لو وصل الأمر إلى القضاء .
اتسعت ابتسامة (رفعت) ، وهو يقول :
ـــ لقد وصل .
حدق (حسين) فى وجهه بدهشة ، فاستطرد :
ـــ لقد رفع (عمر) قضية بهذا الشان صباح اليوم .
هتف (حسين) :
ـــ كيف عرفت ذلك يا سيدى ؟
رفع (رفعت) حاجبيه ، هاتفا :
ـــ كيف عرفت ؟! .. ياله من سؤال يا (حسين) ! .. انسيت انك تتلقى تدريبات فى هذا الشان ؟ .. فى فن المعرفة .

تمتم (حسين) :
ـــ بالتأكيد .
ثم استطرد فى توتر وقلق :
ـــ ولكن ماذا أفعل لو ان (عمر) استصدر قرارا بإلغاء البيع ؟
ابتسم (رفعت) ابتسامة غامضة ، وقال :
ـــ لن يفعل .
قال (حسين) :
ـــ كيف ؟ .. إنه رجل شره للمال ، وشديد العناد ...
قاطعه (رفعت) مبتسما :
ـــ دع لى هذا الأمر .. وسيتنازل (عمر) عن القضية .
ثم اشعل سيجارته ، مستطردا فى غموض :
ـــ لن يكون امامه سوى أن يفعل ..
واتسعت ابتسامته ..

* * *

تابع (مفيد) بعينيه شقيقه (حسين) ، وهو يعد حقائبه ، للانتقال إلى شقته الجديدة فى (القاهرة) ، وقال فى ضيق :
ـــ إنك تترك أمورا خلفك بلا حسم يا (حسين) .
قال (حسين) فى برود :
ـــ كل الأمور يمكن حسمها ، ثم إننى لست ذاهبا إلى القمر .. إنها (القاهرة) فحسب .
ـــ وماذا عن زواج (زينب) ؟
ـــ هذا الـــ (ماهر) لا يروق لى .

— ولكن والدنا (رحمه الله) وافق على زواجها منه .

— فليكن .. لتتزوجه ، لو انه يحلو لها .

— بهذه البساطة ؟!

— اتحب أن الجأ إلى التعقيدات ؟

— لا .. وبالمناسبة ، لقد عرضت (حافظ) على طبيب .

التفت إليه (حسين) فى حدة ، عندما بلغ هذه النقطة وهتف مستنكرا :

— طبيب ؟!.. الم نناقش هذا الأمر من قبل ؟

تجاهل (مفيد) ذلك السؤال الاعتراضى ، واكمل :

— والطبيب يقول إنه مصاب بانهيار عصبى تام ، وبانفصام شخصية وقتى ، ، بسبب عجزه عن تقبل الأمر الواقع ، وصراع رغباته مع واقعه ، ويؤكد الطبيب ضرورة نقله إلى مستشفى الأمراض النفسية لعلاجه ...

قاطعه (حسين) فى صرامة :

— لن يذهب .

قال (مفيد) فى حدة :

— سيصاب باكتئاب تام لو لم يذهب ...

هتف (حسين) فى غضب .

— قلت لك إنه لن يذهب .. لن يردد خصومى ابدا ان شقيقى مجنون .

صاح (مفيد) :

— فى هذه الحالة سأذهب انا معه .

انتزع (حسين) مسدسه من سترته ، وهو يقول فى غضب صارم :

— عندئذ أفضل ان اقتله .

وكان (مفيد) يعلم ان (حسين) قادر على فعلها حقا .. ودون تردد ..

* * *

ادارت (عايدة) عينيها فى أرجاء شقة (حسين) الفاخرة ، وهى تقول فى لا مبالاة :

— جيدة إلى حد ما .

هتف (حسين) فى حماس :

— إننى اراها رائعة .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

— من الطبيعى ان تراها انت كذلك .

ضغطت فى قوة حروف لفظ (انت) ، إلا انه لم ينتبه إلى المعنى الذى تقصده ، وهو يضع يديه على كتفيها من الخلف ، قائلا فى هيام :

— اخيرا اصبحنا وحدنا .

قالت دون أن تلتفت إليه :

— اخيرا .

واتجهت فى هدوء نحو مقعد وثير ، وتركت جسدها يغوص فيه ، وهى تسأله :

— قل لى يا (حسين) : الم تغادر (مصر) ابدا ؟

جلس على المقعد المجاور لها ، وهو يقول :

— لست اشعر بالرغبة فى هذا .

قالت فى حماس :

— خطأ يا (حسين) .. إنك لم تر (أوربا) .. قارة الجمال .. لو انك رايت (باريس) مرة واحدة فستعشقها إلى الأبد ، ولو انك شاهدت (روما) وآثارها ومتاحفها ، فستسجد لها طيلة العمر ، ولو انك ..

قاطعها فى ضجر :

— ولكننى احب (مصر) .

مطت شفتيها فى ازدراء ، وقالت :

— تحبها ؟! .. حبها كما يحلو لك ، ولكن سافر لترى الدنيا .

ثم غاصت اكثر فى مقعدها ، والتمعت عيناها ببريق خاص ، وهى تضيف :

— ام انك تعجز عن الحصول على تصريح سفر خاص ؟

اشار إلى صدره ، وهو يقول فى زهو :

— انا ؟! .. إننى اسافر وقتما اشاء .

التمعت عيناها مرة اخرى ، ونهضت من المقعد ، وجلست على مسند مقعده ، ومالت براسها نحوه ، وهى تقول هامسة :

— كم اتمنى لو نذهب إلى (باريس) معا .. إلى عاصمة الفن والحب والجمال .. هناك تتألق المشاعر ، ...

قاطعها فى لهفة :

— هنا ايضا تتألق المشاعر .

اطلقت ضحكة عابثة طويلة ، وقالت :

— لا .. (باريس) شىء آخر .

هم بتطويق خصرها بذراعه ، عندما ارتفع فجأة رنين جرس الباب ، فأجفلت هاتفة :

— هل تنتظر احدا ؟

هز راسه نفيا ، وقال :

— مطلقا .. لا ريب انه زائر للساكن السابق ، لم يعلم بأمر ترحيله بعد .

قالت فى قلق :

— من الأفضل ان نحتاط .. ساختبىء فى حجرة النوم .

قال وهو يتجه نحو الباب :

— هذا افضل بالفعل .. اذهبى .

اغلقت خلفها باب حجرة النوم ، فى حين اتجه هو إلى الباب ، وفتحه ..

وتجمدت الدماء فى عروقه ..

لقد وجد امامه آخر شخص يحب ان يراه ، فى هذه اللحظة بالذات ..

وجد امامه (إبراهيم) ..

الصاغ (إبراهيم مكى) ...

ترقب البقية فى العدد القادم

من

كوكتيل ٢٠٠٠



الانتظار

(قصة قصيرة)

كالمعتاد ، وصلت هى اولا ..

وكان عليها ان تنتظره ..

كل مرة يحدث هذا ..

كل مرة يكون عليها هى ان تنتظر ..

زفرت فى حنق ، وتطلعت إلى ساعتها ، ثم عادت تتطلع إلى الطريق ..

إنه لا يحترم اية مواعيد ..

حتى فى عمله يصل متأخرا ..

وهى على عكسه تماما ، تصل دوما فى موعدها ..

وتنتظر ..

ولأول مرة ، منذ بدأت علاقتهما ، شعرت نحوه بالسخط ..

لماذا تحتمله هى دوما ؟.

لماذا تحتم قواعد التعامل ان تدلل النساء الرجال قبل الزواج ؟..

وفى اعماقها ، انفجرت ثورة ..

لا ..

لن تنتظره هذه المرة ..

لقد وصلت فى موعدها ، وما دام هو لم يصل ، فليحتمل النتائج ..

وفى حزم ، اندفعت تغادر مكانها فى غضب ، وعبرت الطريق فى عصبية مفاجئة ..

وارتفع صرير إطارات سيارة ، تحتك فى الطريق بقوة ، مع محاولة صاحبها إيقافها فى استماتة ، واعقبه صوت ارتطام السيارة بجسم لدن ..

وشعرت هى بالصدمة ، ثم تلاشى شعورها بالألم بغتة ، وراحت روحها تفارق جسدها فى نعومة وهدوء ، محلقة نحو الأبدية ..

والعجيب انها لم تشعر برهبة الموت حينئذ ، بل كل ما شعرت به هو السخط ؛ لأنه حتى فى هذا ستذهب هى اولا ..

وسيكون عليها ان تنتظره ...

* * *



(قصة قصيرة)

لعبة كبار

« كفى يا ولد .. »

رفع الصغير عينيه فى حيرة ، يتطلع إلى والده ، الذى عقد حاجبيه فى صرامة ، مكررا :

— قلت لك كفى .

لم يدر لماذا يمنعونه هو بالذات من العبث بتلك الأزرار ، التى يعبثون بها طيلة الوقت ، فتظهر على الشاشة الملاصقة لها صور متحركة طريفة ، يحب هو مشاهدتها ومتابعتها فى شغف ..

وفى حذر ، ألقى نظرة على والده ، الذى انشغل بمطالعة صحيفته ، ثم مد أصابعه المنمنمة نحو أزرار التلفاز ، ولم يكد يلمسها حتى تعالى صوت أمه :

— لا تعبث فى التلفاز .

تراجعت أصابعه ، وهو يضرب الأرض بقدمه الصغيرة فى غضب ، ثم ابتعد عن الجهاز بخطوات حذرة ، فهو لم يألف المشى على قدمين بعد ..

لقد كان منذ فترة قصيرة يحبو على أربع ، مثل ذلك القط الخامل ، الذى لا يفعل طيلة اليوم سوى أن يصرخ ويموء ، عندما يجذب هو ذيله المثير للفضول ، وهو يتراقص فى نعومة ، حتى عندما يكون ذلك القط نصف نائم ..

ولم تحتمل قدماه الصغيرتان المشى طويلا ، فانحنى جسده لتلامس كفاه أرض الحجرة ، ثم جلس فى هدوء ، وراح يبتسم لأمه ، التى انشغلت فى ترتيب وتنظيف المكان ، فاكتفت بأن بادلته الابتسام ، دون أن تحاول حمله أو مداعبته ، فالتفت إلى والده ، وراح يبتسم ، ويحرك كفيه الصغيرتين على ذلك النحو ، الذى يضحك له والده كثيرًا فى ساعات الصفاء ، ولكن والده كان منهمكا فى قراءة الصحيفة تماما ، حتى أنه لم ينتبه إلى صغيره ..

وفى ضجر ، راح هو يحبو فى المكان ، حتى بلغ التلفاز مرة أخرى ، فأمسك سطح مائدته بكفيه الصغيرتين ، ورفع جسده إليه ، ووقف مرة أخرى على قدمين ، وراح يتطلع إلى الشاشة المظلمة فى أمل ..

لماذا لا تعمل ؟..

لماذا لا تجلب إليه تلك الصور المتحركة ، والمشاهد الطريفة ؟..

إنه يشعر بالملل دونها ..

وفى اهتمام ، مد أصابعه الصغيرة ، وضغط الزر ..

وأضاءت الشاشة ..

ولم يكد هو يتهلل مبتسما ، حتى هتف والده فى غضب :

— لا تعبث بالتلفاز .. لقد حذرتك من قبل .

وأسرعت أمه تغلق التلفاز ، وهى تقول :

— لا يا صغيرى .. كفاك عبثا .

ثم حملته ، ووضعته فى منتصف الحجرة ، بعيدا عن التلفاز ..

وجلس هو صامتا لحظات ..

لم يفهم قواعد اللعبة ..

لعبة الكبار ..

إنهم لا يريدون مداعبته ، أو حتى تركه ليداعب نفسه ..

إنهم يضجرونه فى شدة ..

وفى هذه المرة لم يعد أمامه سوى أمر واحد ..

أن ينفجر باكيا ..

ولقد فعل ..

العقرب

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص..
عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..
حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..
عندئذ يهب هو للقتال، حاملا ذلك الاسم، الذى يثير الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين..
اسم (العقرب).

د. نبيل فاروق

١ ـ قضية جديدة..

ارتفعت حرارة الجو كثيرا ، فى ذلك الصيف ، الذى لم تشهد (مصر) مثيلا له منذ سنوات طويلة ، واكتست وجوه المارة ، فى شوارع وسط (القاهرة) ، بقناع من التوتر والعرق ، وبدا الجميع فى حالة يرثى لها من شدة القيظ ، حتى ان احدا لم ينتبه إلى تلك السيدة ، التى تجاوزت الخمسين من عمرها بعام أو عامين ، واتى توقفت مترددة ، عند إشارة عبور مشاة ، فى تقاطع شديد الازدحام ، تلتقى فيه ثلاثة شوارع رئيسية كبيرة ، فى ميدان صغير ، يتوسطه تمثال لواحد من زعماء (مصر) الوطنيين ، الذين كان لهم كل الفضل فى إذكاء جذوة الوطنية المتقدة ، فى النصف الأول من القرن العشرين ..

وبدت السيدة النحيلة شديدة الارتباك والتردد ، مما يؤكد انها المرة الأولى تقريبا ، التى تهبط فيها من الأقاليم إلى (القاهرة) ، أو تواجه زحام وسط العاصمة ، خاصة وقد كانت تحمل بيدها ورقة صغيرة ، دونت عليها اسم وعنوان محام شاب ، لم ينل الكثير من الشهرة بعد ..

وكان اسم هذا المحامى هو (نديم) ..

(نديم فوزى) ، الذى نعرفه نحن بلقب آخر ..

لقب (العقرب) ..

وعندما بلغت السيدة تلك البناية القديمة ، التى يحتل مكتب (نديم فوزى) للمحاماة إحدى شققها الواسعة ، كانت تتصبب عرقا ، من حرارة الجو والانفعال معا ، حتى لقــد بدت على شفا الانهيار ، عندما بلغت مكتب (نديم) ، مما دعا (غادة) زميلة (نديم) وشريكه ، إلى الإسراع إليها ، قائلة فى إشفاق :

— رويدك يا امــاه .. يمكنك الاســتناد إلى ذراعى ، فمظهرك يوحى بانك ستسقطين فاقدة الوعى .

تمتمت السيدة فى إعياء :

— لم يخطىء ظنك كثيرا يا بنيتى .

عاونتها (غادة) على اتخاذ مقعد يجاور حجرة (نديم) ، وهى تقول فى تعاطف :

— اجلسى يا سيدتى ، والتقطى انفاسك اولا .

اتخذت السيدة مجلسها ، وســط المقعد الوثير ، وراحت عيناها تجوبان مقاعد المكتب الخالية فى قلق واضــح ، على الرغم من لهاثها ، المســموع ، فابتســمت (غادة) ، وهى تقول :

— المكتب لا يزدحم بالزبائن عادة .

رمقتها السيدة بنظرة اكثر قلقا ، فأضافت (غادة) :

— لأن السيد (نديم) يربح قضاياه فى سرعة .

اطلقت السيدة زفرة حارة ، وهى تهمهم :

— آه !!

نطقتها فى لهجة تحمل الكثير من الارتياح والأمل ، ثم مالت نحو (غادة) ، تسالها فى لهفة :

— وهل السيد (نديم) هنا ؟

اجابتها (غادة) ، وهى تبتسم فى تعاطف :

— إنه هنا .. اطمئنى .. التقطى انفاسك اولا ، ثم ...

قاطعتها السيدة ، وهى تغادر مقعدها فى انفعال :

— دعك من انفاسى .. أريد مقابلته على الفور .

رفعت (غادة) حاجبيها فى دهشة ، إلا انها لم تعترض ، بل نهضت من مقعدها بدورها ، وطرقت باب مكتب (نديم) ، ثم دفعت بابه ، وقالت :

— سيدة تطلب مقابلتك .

ولم تدر السيدة لماذا خامرها شعور بالارتياح والاطمئنان ، عندما سمعت صوت (نديم) الهادىء الرصين من الداخل ، وهو يقول :

— فلتتفضل ..

تقدمت الســيدة داخل حجرة مكتب (نديم) الفاخــرة فى حذر ، وهى تقدم قدما وتؤخر اخــرى ، وقد بهرتها فخامة المكتب والأثاث ، والقت فى قلبها شــيئا من التوتر والحذر ، أزالتهما ابتسامة هادئة من (نديم) ، وهو يصافحهــا قائلا بلهجته الرصينة الدافئة :

— مرحبا بك فى مكتبى يا سيدتى .. انا (نديم فوزى) ، فى خدمتك .

ادارت السيدة عينيها حولها مرة اخرى ، وركزت بصرها لحظات على ابتسامة (غادة) ، ثم ملأت عينيها بوجه (نديم) الجاد الوسيم ، قبل ان تقول فى تردد :

ــ اسمى (نوال) ، وانا اقيم وحدى فى (المنصورة) .

صمتت لحظة ، تنتظر تعليقا او تعقيبا ، فلمـا لم تجد ، تابعت :

ــ لقد توفى زوجى منـذ عشرة اعوام ، وتـرك لى ولدا واحدا ، كافحت لأجعل منه مهندسا ناجحا ، كرغبته ، وكامل والده (رحمه الله) .

ازدردت لعابها على نحو ملحوظ ، عند هذه النقطة ، ثم اضافت فى توتر :

ــ ولقـد تخرج من كلية الهندســة منذ ثلاثة اعـوام . ولا يمكنكما تصور مدى فرحتى فى ذلك اليوم، ولكن .. لكن ..

تفجرت الدموع من عينيها دفعة واحدة ، وراحت تبكى فى حرارة ومرارة ، جعلتا (غادة) تتطلع إليها فى مزيد من العطف والإشفاق ، فى حين دفعتا (نديم) إلى ان يربت على كتفهـا بيده فى حنان ، وهو يقول :

ــ رويدك يا سيدتى .. ماذا اصاب ابنك ؟

هتفت السيدة من وسط دموعها :

ــ إنه برىء .. اقسم لك انه برىء .. ذلك الحقير هو المسئول ، هو الذى دفع بإبنى فى ذلك .

قال (نديم) فى اهتمام :

ــ اهدئى يا سيدتى ، واشرحى لى الأمر كله .

جففت السيدة (نوال) دموعها ، وإن بدا صوتها اشـبه بالنحيب ، وهى تروى :

ــ فور تخرج (احمد) ابنى ، التحق بالعمل فى واحدة من شركات المقاولات الكبرى ، التابعة لذلك المجرم ، وراح يمنح عمـله كل اهتمـامه ، حتى انه قـد انتقل للعيش هنـا فى (القاهرة) ، ولم اعد اراه إلا لماما ، ومنذ اسبوعين تقريبا ، فوجئت به يعـود إلى (المنصورة) ، شاحب الوجه ، زرى الهيئة ، واخبرنى بكل الذعر والفزع أن الشرطة تبحث عنه ، وتتهمه بارتكاب جريمة لم يرتكبها ، واقسم لى بروح ابيـه الراحل انه برىء من تلك التهمة ، وان مرتكبها الحقيقى هو ذلك المجرم ، صاحب الشركات .

سالها (نديم) فى هدوء ، لا يخلو من الاهتمام :

ــ وما نوع التهمة يا سيدتى ؟

ارتجف صوت السيدة ، وهى تقول :

ــ جريمة قتل .

رفعت (غادة) حاجبيها ، على نحو يوحى بأنها لم تتوقع هذا الأمر ، فى حين بدا (نديم) ــ كعادته ــ شديد الجدية والاهتمام ، وهو يسالها :

ــ ومن هذا المجرم ، صاحب الشركات العقارية ؟

تطلعت إلى عينيــه طويلا فى تردد ، ثم اجابت بصـوت خائف ، وكأنما تخشى مجرد ذكر الاسم :

ــ (صالح عثمان) .

ارتفع حاجبا (غادة) على نحو أعنف هذه المرة ، وانطلق من بين شفتيها هتاف :

ــ (صالح عثمان) بنفسه ؟.

اندفعت السيدة (نوال) تقول فى توتر :

ــ نعم .. هو بنفسه .. هو قتل مدير مكتبه ، واتهم ابنى بقتله ، على الرغم من ان ابنى ليس بقاتل وليس ..

قاطعها (نديم) فى اهتمام :

ــ وما دليلك على هذا يا سيدتى ؟

بدت الحيرة فى وجهها ، وهى تقول :

ــ الدليل ؟!.. اى دليل ؟.

مال نحوها ، يسألها :

ــ ما دليلك على ان ابنك لم يرتكب الجريمة ؟

قالت فى عصبية :

ــ قل لى اولا : هل تخشى (صالح عثمان) ، كما يخشاه الجميع ؟

اجابها فى هدوء :

ــ الدليل يا سيدتى .. لا يمكننا إدانة رجل مثل (صالح عثمان) ، دون دليل مادى قوى .

هتفت فى حدة :

ــ كنت اتوقع هــذا ، فالجميع يخشون (صالح عثمان) هذا .. رجال الشرطــة ، والقضــاء ، الجميع يخشــون سطوته .

عقد (نديم) ساعديه امام صدره ، وقال :

ــ الأمر لا يتعلق بـ (صالح عثمان) او سواه يا سيدتى .. إنها عملية قانون وإجراءات ، و ...

أجهشت السيدة بالبكاء بغتة ، ودفنت وجهها فى راحتيها ، وهى تقول فى مرارة :

ــ لا فائدة إذن .. لقد كنت املى الأخير ، بعد ان احكم هؤلاء الأوغاد الطوق حول رقبــة ابنى .. كنت املى الأخير والوحيد .

تطلعت (غادة) إلى (نديم) فى حيرة ، فى حين عقد هــذا الأخير حاجبيه ، وهو يسأل السيدة فى اهتمام :

ــ أملك الأخير والوحيد ؟!.. من دفعك إلى هذا الاعتقاد يا سيدتى ؟

رفعت عينيها المبللتين بالدموع إليه ، وقالت فى لهجة باكية :

ــ ضابط كبير من ضباط الشرطة ، برتبة لواء ، كان يتابع التحقيق منذ بدايته ، ومن المؤكد انه قد ايقن من براءة ابنى ، على الرغم من ان كل الادلة تدينه ، فلقد انتحى بى جانبا ، ومنحنى ورقة تحمل اسمك وعنوانك ، واخبرنى انك الوحيد الذى يمكنه إثبات براءة ابنى ، وإدانة (صــالح عثمان) ..

بدا الاهتمام على وجه (نديم) فى شدة ، وهو يسألها :

ــ ومن هذا اللواء ؟

اجابته فى خفوت ، وهى تواصل تجفيف دموعها :

— اسمه (حلمى) .. اللواء (حلمى) ، من المباحث الجنائية .

التقت نظرات (نديم) و (غادة) ، وبدا لحظة ان ومضة من البرق قد سرت بين نظرتيهما ، قبل ان تبتسم (غادة) ابتسامة غامضة ، ويتراجع (نديم) فى مقعده ، قائلا فى هدوء :

— حسنا .. اطمئنى يا سيدتى .. سأتولى هذه القضية.

وفى تلك اللحظة بالذات ، استعاد خيال (غادة) صورة لـ (نديم) فى زى وقناع من اللون الأسود الحالك ، وادركت أن ساعة العودة قد حانت ..

عودة (العقرب) ..

* * *



٢ — العودة ..

جلس (نديم) فى مكتبه شاردا ، يسترجع ذكرياته عن ماضيه فى الشرطة ..

كان فيما مضى ضابطا بالشرطة ، يبذل قصارى جهده لإحقاق الحق والعدل ، دون أن يلتزم بالقانون المكتوب ..

ولكن هذا كان — فى حد ذاته — مخالفة للقانون ..

وهكذا فقد (نديم) وظيفته ، وتم فصله من الشرطة ، بسبب احتكاكه بواحد من اعضاء مجلس الشعب ، يتجر سرا فى المخدرات ..

ورفض جهاز الشرطة منحه ترخيصا بافتتاح مكتب خاص للتحرى ، فما كان منه إلا ان افتتح مكتبا للمحاماة ، لم يلبث أن تحول إلى واجهه تخفى شخصيته السرية ، التى اتخذها لمكافحة الجريمة ، التى تعجز عنها يد القانون ..

وولدت شخصية (العقرب) ..

ولاول مرة فى تاريخ محاربة الجريمة فى (مصر) ، ظهر (العقرب) بقناعه الأسود ، وزيه القاتم ، وبطاقته البيضاء ، التى يتوسطها عقرب ذهبى ..

وانقسم موقف الشرطة تجاهه ..

كان اللواء (حلمى) واثقا من ان (نديم فوزى) هو (العقرب) ، وكان يتعاطف مع موقفه على نحو غير رسمى ،

محاولا التظـاهر بجهله لحقيقـة الأمر فى حين كان العقيد (مجـدى) على النقيض ، يبغض (نديم) اشـد البغض ، ويسعى للإيقـاع به ، وإثبـات انه ذلك المقنع ، وإن افتقر بدوره إلى الدليل ..

وبانتقامه من (نعمان والى) ، تاجر المخدرات وعضـو مجلس الشعب ، هـدات ثـورة (نديم) ، وخلـع زى (العقـرب) ، وراح يبذل اقصى جهـده للنجـاح فى عمله كمحام ..

حتى برزت قضية (صالح عثمان) ..

افاق من شروده وذكرياته على صـوت (غادة) ، وهى تدلف إلى حجرته ، هاتفة :

— كانت مهمة شاقة بحق .

رفع عينيه إليها ، واعتدل يسالها فى اهتمام :

— هل حصلت على المعلومات المطلوبة ؟

اجابته وهى تلقى جسدها فوق المقعد المواجه لمكتبه :

— كلها .

والتقطت نفسا عميقا ، ثم اعتدلت تستطرد :

— لقد تمت الجريمة على نحو تقليدى ، لم يعد يصلح حتى للأفلام السينمائية الهابطة ، فلقد تشاجر (احمد) مع (سالم زين) ، مدير مكتب (صالح عثمـان) ، بسبب جزاء اوقعه (صالح) على (احمـد) ، حاول الاخير ان يلتقى بالاول ، ليساله عن سببه ، فمنعه (سالم) من الدخول ، مما ادى إلى حدوث المشاجرة ، وفى المساء التـالى ، قتل (سـالم) فى مكتبه ، بفتاحة الخطابات الخاصة بـ (احمد) ، وادلى اربعة من اقرب الرجال إلى (صالح) بشهادة حاسمة ، تدين (احمد) على نحو لا يتطرق إليه الشك ، ولم يكن لدى (احمد) دليل براءة واحد ؛ لذا فقد امر وكيل النيابة بحبسه حبسا مطلقا ، لحين تقديمه إلى المحاكمة .

سالها فى اهتمام :

— وماذا عن (صالح عثمان) ؟

مطت شفتيها ، وهزت سبابتها امام وجهها ، قائلة :

— رجل خطير بحق .. إنه واحد من اكبر رجال المقاولات فى (مصر) ، وفى الوطن العربى كله ، وله اتصالات رهيبة . تجعله من اقـوى الرجال فى هـذا المجتمع ، وثروته غير محدودة ، على الرغم من ان ضرائبـه لا تزيد عادة على رقم ذى ثلاثة اصفار ، وهو صديق شخصى لرئيس الوزراء ووزير الداخلية ، و ...

قاطعها فى شىء من الضجر :

— اريد المعلومات غير الصالحة للنشر .

ابتسمت وهى تقول :

— لقد زرت صديقنا اللواء (حلمى) فى مكتبه ، وقضيت معه بعض الوقت ، وهو مؤمن تماما ببراءة (احمد) ؛ لسبب

بسيط ، الا وهو انه يعلم لماذا قتل (صالح عثمان) مدير مكتبه ؟

مال (نديم) إلى الأمام ، وهو يسألها فى اهتمام بالغ :

ــ لماذا ؟

اجابته فى حماس :

ــ لأن اللواء (حلمى) بنفسه عثر على ما يدين (سالم) ، وهدده بتقديم كل ما لديه إلى النائب العام ، ما لم يعمل (سالم) لحساب الشرطة ، للإيقاع بـ (صالح عثمان) نفسه ؛ لأن (صالح عثمان) هو ملك الجريمة فى (مصر) ، على حد قوله .

ثم استدركت فى سرعة :

ــ وكانت هذه مبادرة فردية من اللواء (حلمى) بالطبع ؛ لأن سيادة وزير الداخلية لم يكن ليوافق على الإيقاع بأصدق أصدقائه ، على هذا النحو ؛ لذا فلن يمكن تبرئة (أحمد) اعتمادا على هذا .

تراجع (نديم) فى مقعده ، وشرد ببصره ، مغمغما فى صرامة :

ــ دائما هناك مجرم تعجز عنه يد القانون .

غمزت (غادة) بعينها ، قائلة :

ــ ودائما هناك من يتصدى له .

تطلع إليها لحظات فى صمت ، قبل أن يقول بلا أدنى انفعال :

ــ كنت أتصور أن (العقرب) شخصية محدودة ، ظهرت للانتقام من (نعمان والى) فحسب ، وبعدها ينبغى أن تتوارى خلف الستار ، لتفسح الطريق لـ (نديم فوزى) .

ابتسمت فى هدوء ، ونهضت من مقعدها ، واتجهت إلى ركن من أركان مكتبه الفاخر ، وضغطت زرا خفيا فى الجدار ، فانزاحت مكتبة صغيرة فى بطء ، وظهرت خلفها فجوة صغيرة ، تتسع لقميص وسروال وقفاز وقناع من اللون الأسود ، وعلبة أنيقة تحوى بطاقات بيضاء ، يتوسط كل منها رسم لعقرب ذهبى ، وقالت :



ــ لماذا احتفظ (نديم فوزى) بكل هذه الأشياء إذن ؟

قال فى هدوء :

ــ على سبيل الذكرى .

هزت رأسها نفيا ، وقالت :

ــ أو لأنه كان يخشى أن يظهر (نعمان والى) آخر .

وبدت لهجتها صارمة حاسمة ، وهى تضيف :

ــ ولقد ظهر بالفعل .

تمتم هو ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، وقد تعلقت عيناه بزيه السرى :

— وهو يحمل هذه المرة اسم (صالح عثمان) .

شعرت بالارتياح ، عندما راته يتحسس زى (العقرب) فى حنان ، وقال فى خفوت :

— هل سيمكننا تبرئة (أحمد) ؟

اجابها فى هدوء ، يحمل كل حسمه :

— لست ادرى ، ولكن القضية لم تعد مجرد قضية تبرئة متهم ، فحتى لو سلبنا الثعبان فريسته ، فلن يمنعه هذا من بث سمومه فى كل مكان .. الوسيلة المثلى لمنع الســم ، هى تحطيم راس الثعبان نفسه .

قالت فى حماس :

— وراس الثعبان هذه المرة رجل يتزعم كل نظم الجريمة ، من تهريب عملات ومخدرات ، إلى قتل وسلب ، إلى ...

قاطعها فى حزم :

— فليكن حتى امبراطورا لعالم الجريمة فى الكون كله .

والتقط القناع الأسود مضيفا :

— إنه سيواجه (العقرب) هذه المرة .

وخفق قلب (غادة) فى قوة ..

لقد أدركت ان (العقرب) قد عاد ..

وان هذا الصيف سيزداد سخونة ..

او سيشتعل ..

* * *

٣ ــ الملك ..

جلس (صالح عثمان) بقامته الضخمة ، وراسه نصف الأصلع ، وذلك السيجار الكوبى الكبير ، الذى قلمـا يفارق شفتيه ، فى حجرة مكتبه البالغة الفخامة ، التى تحتل الجانب الشمالى كله ، من قمة بناية شاهقة ، تحمل اســمه واسم شركته بحروف هائلة مضيئة ، تسمح لنصف سكان (القاهرة) بمشاهدتها ليلا ونهارا ، وراح يراجع بضع اوراق امامه ، قبل ان يسال مدير مكتبه الجديد فى لهجة تشف عن الاستهتار واللامبالاة :

— هل من جديد بشأن ذلك المهندس التافه يا (عزت) ؟

انحنى (عزت) امامه ، وهو يقول مبتسما فى خبث :

— إنه سيقدم للمحاكمة صباح الغد يا سيدى .

مط (صالح) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

— لقد تاخروا كثيرا ، كان ينبغى ان يعدموه على الفور .

قال (عزت) ، بنفس الابتسامة الخبيثة :

— بالتأكيد كان ينبغى ان يفعلوا يا سيدى .. لقد سلمناهم قضية مكتملة .

عقد (صالح) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— تقصد ان القضية كانت سليمة .

هتف (عزت) :

— هذا ما اقصده بالتاكيد يا سيدى .

أومأ (صالح) برأسه علامة على ارتياحه للأمر ، قبل أن يضيف (عزت) :

ــ ولكن (طومان) يطالب بمكافأة إضافية .

عاد (صالح) يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ــ لـمـاذا ؟.. ألم يحصل على عشرة آلاف جنيه ؟

قال (عزت) فى دهاء واضح :

ــ إنه يقول إن المبلغ غير كاف ؛ لأنه بذل جهــدا كبيرا لسرقة فتاحة الخطابات ، واستدراج (ســالم) إلى حيث امرته ، وطعنه فى قلبه ، و . . .

قاطعه (صالح) فى حنق ، وهو يلوح بكفه :

ــ لا بأس .. لا بأس .. امنحه عشرة آلاف أخرى .

ثم استدرك فى حدة :

ــ على ألا يعود للمطالبة بقرش واحد .

انحنى (عزت) انحناءة كبيرة ، ثم عاد يعتدل قائلا :

ــ هناك أمر آخر يا سيدى .

سأله فى ضجر ونفاد صبر :

ــ ما هو ؟

مال (عزت) نحـــوه ، كعادته كلما هم بالإدلاء بأمر بالغ الخطورة ، وقال :

ــ هناك فتاة تجمع التحريات عنك منذ يومين كاملين .

رفع (صالح) عينيه إليه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ فتاة ؟!.. أية فتاة ؟

اعتدل (عزت) ، وأجاب :

ــ إنها محامية شابة ، تدعى (غادة) .

مط (صالح) شفتيه ، ولوح بكفه ، قائلا :

ــ لا ريب أنها من كلفها المهندس الدفاع عنه .

عاد (عزت) يميل نحوه مرة أخرى ، هامسا :

ــ ولكنها لا تجمع التحريات عن (صالح عثمان) ، رجل المقاولات الشهير ، بل عن زعيم العالم السفلى .

رفع (صالح) عينيه إليه فى حدة هذه المرة ، وهو يقول :

ــ العالم ماذا ؟

كرر (عزت) :

ــ العالم السفلى ..

ثم أضاف فى حزم :

ــ أعنى أنها تتحــرى عن زعيم أكبر شبكات التهــريب حاليا ، وملك تجارة العملة وإمبراطور المخدرات ، و . . .

رفع (صالح) كفه فى عنف ، هاتفا :

ــ كفى .

وأشعل سيجاره ــ المشتعل فعــلا ــ وهو يقــول فى عصبية :

ــ وكيف نبتت هذه الفكر فى رأسها ؟ إن وزير الداخلية نفسه لا يشك فى أمرى بمقدار خردلة .

قال (عزت) :

ـ يبدو ان لديها خيطا ما .

ران الصمت على الحجرة شديدة الفخامة ، بعد ان القى (عزت) عبارته الأخيرة ، وراح (صالح) ينفث دخان سيجاره فى عمق وقــوة ، ثم لم يلبث أن اطفأ السيجار فى منفضـة السجائر فى عنف ، وهو يقول :

ـ فليكن .. هى جنت على نفسها .

ثم استطرد فى صرامة :

ـ اتصـل بـ (طومــان) ، وابلغه اســم وعنوان تلك المتحذلقة ، واخبره اننى اريد ان اقرأ خبر مصرعها فى صحيفة الغد .

واشعل سيجارا آخر ، وهو يضيف فى حدة :

ـ إننى اكــره من يدسون انوفهم فى شئونى .. اكرههم للغاية .

وراح ينفث دخان سيجاره فى ثقة ..

* * *

لم تكد عقارب الساعة تشير إلى الثامنة وعشر دقــائق مساء ، حتى كان المبنى الرئيسى لإدارة شركات (صــالح عثمان) قد خلا تماما من كل العاملين به ، إلا من رجال امن المبنى ، الذين راحوا يراجعون قوائم الانصراف ، ويفحصون الحجرات ، للتاكد من خلوها ، قبل ان يتم تشــغيل جهــاز الإنذار الإلكترونى ، الذى يحيط بالمكان كله ..

وفى الثامنة واثنتى عشرة دقيقة ، عبر بوابة المبنى ، التى لم يتم إغلاقها بعد ، رجل نحيل ، عريض المنكبين ، له شعر اكرت كث ، وشارب ضخم ، يكاد يخفى النصف السفلى من وجهه تماما ، ويرتدى ذلك الزى الأزرق ، ذا العلامة الحمراء المستديرة فى موضع القلب ، الذى يميز رجال امن المبنى ، فاستوقفه حارس البوابة ، وهو يساله فى شك :

ـ من انت ؟.. إننى لم أرك هنا من قبل .

رفع الحارس الجديد حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ لم ترنى من قبــل ؟!.. عجبــا !.. الم نلتق امس يا (سعيد) ؟

عقد الحارس حاجبيه ، وهو يتفرس فى ملامح الحارس الجديد ، محاولا تذكر ملامحه ، وهو يتمتم :

ـ امس ؟!

امسك الحارس الجديد ذراع القديم ، وجذبه إلى الداخل فى رفق ، وهو يقول مبتسما :

ـ دعنى اذكرك .. لقد التقينا امام المصعد ، و ..

وفجاة هوت قبضة الحارس الجديد على معدة (سعيد) فى قوة ، انثنى لها هذا الأخير المــا ، وهو يهتف فى صوت مكتوم :

ـ إنك لست ..

وقبل ان يكمل عبارته ، قفزت قبضة الحارس إلى فكه ، فاجبرته على الاعتدال مرة اخرى ، قبل ان يندفع إلى الخلف مرغما ، ويرتطم راسه بالحائط ، والحارس الجديد يقــول فى برود :



— بالطبع انا لست ...

سقط (سعيد) فاقد الوعى ، فانحنى الحارس الجديد ، وجذبه فى قوة إلى ركن قصى ، بعيد عن الأعين ، ثم اعتدل مغمغما ، وهو يلقى بطاقة صغيرة على صدر الحارس :

— كان ينبغى ان تتخذ قرارك على الفور ، فالتردد ليس من سمات الحارس الناجح .

وفى هدوء ، اتجه نحو البوابة ، واوصدها فى إحكام ، ثم يمم وجهه شطر المصعد ، واستقله فى بساطة إلى الطــابق الثلاثين ..

حيث حجرة (صالح عثمان) الخاصة ..

وبلغ المصعد الطابق المنشود فى دقيقة او نحوها ، وغادره (نديم) ، الذى يرتدى زى حراس المبنى ، فى هدوء عجيب ،

وخطا فى بساطة نحو حجرة مكتب (صالح) ، ولكنه لم يكد يمد يده إلى مقبضها ، حتى ارتفع صوت صارم قاس يقول :

— مكانك يا رجل .. ساطلق النار عند اول حركة مريبة .

وفى بساطة وهدوء ، ادار (نديم) عينيــه إلى مصــدر الصوت ، وراى امامه فوهة مسدس قاتلة ، وخلفها سبابة متحفزة لإطلاق النار ، فى حين ارتفع صوت صاحبها يستطرد فى غلظة :

— انت لست احد رجال الأمن هنا .. انا احفظهم جميعا عن ظهر قلب .

قال (نديم) فى هدوء :

— إننى حارس جديد .

ابتسم الحارس ابتسامة شرسة ، وهو يقول :

— خطأ يا رجل .. إنما انت مجرد لص حقير .

وسرت إلى ابتسامته الشرسة موجة جذلة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، مستطردا :

— ولدينا هنا أوامرنا بقتل كل متسلل .. وبلا رحمة .

وضغط زناد مسدسه ..

* * *

جلست (غادة) فى حجرتها الخاصة ، فى مكتب (نديم) ، تدون المعلومات التى جمعتها عن (صالح عثمان) فى جهــاز الكمبيوتر ، الذى اقتناه (نديم) حديثا ، وعقلها منقسم ما بين تدوين المعلومــات ، والتفكير فيما يفعله (نديم) فى هــذه

اللحظة ، فى مبنى شركات (صـــالح) ، ولكن ذلك التفكير المزدوج لم يلبث ان ارهقها ، فتوقفت عن تدوين المعلومات ، وهى تزفر فى قوة ، وتقول فى حنق :

ــ يا لها من حياة !.. لـماذا ينعم الجميع بحياة هادئة سوانا .

تطلعت مرة اخرى إلى شاشة الكمبيوتر ، قبل ان تتمتم :

ــ ربما لأننا نحن اخترنا هذا النوع من العمل ، او لأن ..

بترت حديثها بغتة وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تحدق فى شاشة الكمبيوتر ، التى عكست صـــورة باهتة لأضـــواء الحجرة و ..

ولجسم يتحرك خلف (غادة) ..

وفى حركة حادة ، استدارت (غادة) بمقعـــدها الدوار ، تواجه ذلك الشىء المتحرك خلفها ..

وشهقت فى قوة ..

كان ذلك الشىء عبارة عن رجل ضخم الجثة ، اصـــلع الرأس تماما ، مفتول العضـــلات على نحـــو مخيف ، غليظ الملامح ، تطل من عينيه نظرة اشبه بنظرة كلب مسعور ، او ذئب متعطش للدماء ..

وكان يمسك بيسراه خنجرا حادا ضخما ..

ومع التفاتتها ، زمجر ذلك الضخم (طومان) ، وانقض عليها ..

وهوى الخنجر على قلبها مباشرة ..

* * *

٤ ــ وبدأ القتال ..

من المؤكد ان حياة (نديم) ، وعمله السابق فى الشرطة لم يذهبا هباء ، فالالتحاق بالشرطة يتطلب لياقة بدنية خاصة . والتدريبات داخلها تنمى هذه اللياقة ، وتضيف إليها الكثير من المهارات والقدرات الجديدة ..

ثم إن (نديم) لم يكتف بكل هذا ..

لانه ايضا لم يكتف بحياة تقليدية ..

لقد اضاف لمهاراته وليـــاقته الكثير ، ممـــا يؤهله لخوض حياة الخطر ومكافحة الجريمة ، التى انتقاها لنفســـه ، وهو يحمل اسم (العقرب) ..

وعندما تتأزم الأمور ، كانت هذه المهارات الخاصة تبرز إلى السطح .. كما حدث فى تلك الليلة ..

لقد صوب الحارس مسدسه إلى (نديم) ، واطلق النار بالفعل ، إلا انه اضاع عامل المفاجاة بحديث مسرحى طويل ، لا فائدة منه ، سوى انه سمح لـ (نديم) بالتفكير فى الأمر ، والاستعداد له ..

وهكذا لم يكد الرجل يضغط زناد مسدسه ، حتى انزلق (نديم) بجسده إلى اسفل ، وترك الرصاصة تتجاوزه ، ثم اندفع بجسده نحو الحارس ، قبل ان يستعد هـــذا الأخير

لإطلاق رصاصة أخرى ، وركل المسدس من يده ، وهـو يقول :

ــ دعنا نتخلى عن الألعاب النارية أولا يا رجل .

ثم هوى على فكه بلكمة عنيفة ، مستطردا :

ــ ودعنا نختبر مهارتك اليدوية .

استشاط الحارس غضبا ؛ لفقدانه مسدسه ، واعتدل وهو يدعك فكه ، محاولا إزالة آلام اللكمة ، وهو يقول فى غيظ :

ــ ربما تشعر بالندم ، عندما تختبرها أيها الحقير .

بدا (نديم) شديد الهدوء والثقة ، وهو يقول :

ــ من يدرى ؟

اطلق الحارس صرخة غضب ، وهو ينقض على (نديم) ، ويكيل له لكمة كالقنبلة فى فكه ، تفاداها (نديم) بانحنـاءة رائعة ، وهو يقول :

ــ انقضاضة خاطئة .

ثم هـوى بدوره على فك الحارس بلـكمة سـاحقة ، مستطردا :

ــ لو انك درست فنون القتال بحق ..

واعقبها بثانية فى انف الرجل ، متابعا :

ــ لأدركت انه ينبغى أن تهاجم من اليسار .

وهوى بثالثة على معدة الحارس ، وهو يقول :

ــ لان الحائط إلى يمينى .

وانتهت المعـركة بلـكمة كالقنبلة ، هـوت على راس الحارس ، وضربته بالحائط ، ليسقط فاقد الوعى ، و (نديم) يردف :

ــ وكنت سارتطم به هكذا .

ترك الحارس يسقط فاقد الوعى فى هدوء ، كما لو أن الأمر لا يعنيـه ، ودفع باب مكتب (صـالح) ، ودلف إليـه فى بساطة ..

كان مكتبـا شديد الفخامة بحق ، ولكن ما لفت انتبـاه (نديم) فيه هو الضخامة المبالغ فيها ، لحجم المكتب الخشبى ، الذى يحمل اسم (صالح عثمان) بحروف من ذهب ..

كان من الواضح ان (صالح) فاحش الثراء ، شديد الثقة بنفسه ، حتى انه لم يحاول إغلاق حجرته الخاصة بنظام امنى محكم ..

وفى هدوء ، اتجه (نديم) نحـو المكتب الضخم ، وراح يفحصه فى روية وإمعان ، حتى تمتم :

ــ لـماذا كل هذا السمك يا (صالح) ، ما دامت ادراج مكتبك نحيله إلى هذا الحد ؟

ضاعف هذا من اهتمامه بفحص المكتب ، حتى انتبه إلى

ذلك الشق الرفيع ، المصنوع بحيث يبدو كجـزء من نقوش المكتب البارزة ، فمرر اصابعه عليه ، وقال :

ـــ هذا هو السبب إذن .. مخبأ سرى خاص فى اعمـــاق المكتب .. لمـــاذا يحتـــاج رجـــل مثـــلك إلى مخبـــأ خاص يا (صالح) ؟.. لا ريب انك تحتفظ فيه بمستندات غاية فى الخطورة .. مستندات قد تدينك مثلا ، او ...

قبل ان يتم عبـــارته ، دوى فجأة صـــفير إنذار فى المبنى كله ، وارتفع صوت عبر المكبرات المنتشرة يقول :

ـــ انتباه للجميع .. هناك دخيل فى المبنى ، ويرجح انه قد صعد إلى حجرة الرئيس .. اغلقوا كل الأبواب إليكترونيا ، وابحثوا عن الدخيل باقصى سرعة .

وقبل ان يتحرك (نديم) من مكانه ، راى رتاجا إليكترونيا يندفع ليغلق باب حجرة (صالح) من الداخل ، وسمع صوتا مشابها من الخارج ..

لحظتها ادرك ان (صالح) ليس غرا او مبتدئا ..

لقد اصبح هو سجينا فى وكر غريمه ..

واطبقت عليه المصيدة أبوابها ..

بلا رحمة ..

* * *

كانت انتفاضة (طومان) على (غادة) اشبه بانتفاضة ثور هائج على غزال شارد صغير ، إلا ان (غادة) ، على الرغم من حجمها ، لم تكن لتوصف ابدا بالغزال الشـــارد المسكين ..

ولقد ادرك (طومان) هذا جيدا ..

لقد انقض عليها بجسده الضخم ، وهوى بخنجـــره على قلبهـــا بكل الوحشـــية والقســـوة والشراســـة ، ولكن (غادة) استقبلته بركلة كالقنبلة فى وجهه ، وهى تقول ، فى لهجة لها طعم ساخر لاذع :

ـــ مهلا أيها الدب الغبى .. ليس من اللياقة ان تهاجم امراة .

ثم قفزت من مقعدها ، ودفعت قدمهـــا الأخرى فى معدته ، مستطردة :

ـــ خاصة وان احذية النســاء لها كعب حاد مؤلم .

صرخ (طومان) فى غيظ والم :

ـــ لا أحد يهزم (طومان) .

قالها وهو يهوى بخنجره على عنقها ، ولكنها افلتت منه فى رشاقة ، وتركته يطعن الهـــواء بخنجره ، فيختل توازنه ، ويرتطم بمنضدة الكمبيوتر فيسقط معها ارضا ، وهتفت هى فى حدة :

ـــ ايها الوغد .. لقد افسدت عمل يوم كامل .

قفز (طومان) واقفا على قدميه ، وقد بلغ غضبه ذروته ، ولم يحتمل ان تهزمه امراة وتســـخر منه ، وهو الذى قطع أعناق أعتى الرجال ، فصرخ وهو يركل شاشـــة الكمبيوتر بقدمه ، ويحيلها إلى شظايا وفتات :



— فليذهب عملك إلى الجحيم .

صاحت به فى غضب :

— ستدفع ثمن هذا الجهاز الجديد .

أحاله استهتارها به إلى وحش ثائر مفترس ، انقض عليها ، وهو يصرخ ويزمجر كليث جريح ..

ولكن (غادة) انحنت فى خفة ، وقفزت جانبا فى رشاقة ، وقالت ساخرة :

— مستحيل يا رجل .. الثيران لا تقتنص الغزلان بهـذه البساطة ..

التفت إليها ، وقلب خنجره ، ليمسك نصله ، ويرفع يده عاليا ، وقال فى شراسة مخيفة :

— من قال هذا ؟.. هناك عشرات الطرق للقنص .

والقى الخنجر فى مهارة مذهلة ، واخترق الخنجر هـواء الحجرة ، بصرير حاد مخيف ، وهو يتجه كالرصاصة نحـو عنق (غادة) ..

وفجاة أثبتت (غادة) انها ليست ذلك الغزال الصغير ..

لقد انتزعت مسدسها من جيب ثوبهـا ، واطلقت منـه رصاصة محكمة ، اصابت الخنجر الطـائر ، واجبرته على تغيير مساره على الرغم من نصله ..

واتسعت عينا (طومان) فى ذهــول ، وهــو يحدق فى المسدس والفتاة ، التى ابتسمت فى سخرية ، وهى تصوب مسدسها إليه ، قائلة :

— مفاجاة .. اليس كذلك ؟

بقى الوضع ثابتا صامتا لحظة ، كصورة فوتوجرافية جامدة ، قبل ان يلتقط (طومان) مقعدا بغتة ، وهو يقول فى حدة :

— إليك مفاجاتى ايضا .

قفزت (غادة) جانبا ؛ لتتفادى المقعد ، الذى القاه (طومان) نحوها بغتة ، وهتفت فى حزم :

— لا تتحرك وإلا .

ولكن (طومان) كان قد تحرك بالفعل ، واندفع نحو الباب كالصاروخ ، وغادر الحجرة والمكتب كله ركضا ، فاندفعت (غادة) خلفه ، هاتفة :

— انتظر .

ولكن هيهات ..

لقد كان الرجل ينجو بحياته ..

ويفر من هزيمته ..

ولقد صوبت إليه هى مسدســها بالفعل ، وهــو يعــدو هابطا ، وكادت تطلق النار على راسه مباشرة ، لولا ان رسم عقلها صورة للنتائج المتوقعة ، فانكمش على نفسه ، وجعلها تغمغم :

— لست اظننا نسعى لجلب متاعب الشرطة الآن .

واعادت مسدسها إلى جيبها ، وهى تتــابع (طومان) ، الذى غادر المبنى مندفعا ، وابتسمت فى سخرية ، مستطردة :

— فمن الواضح اننا قد اثرنا غضب (صالح عثمان) .. حتى الجنون .

* * *

كانت المصيدة محكمة حول (نديم) تماما ..

الأبواب كلا مغلقة إلكترونيا ..

الحراس ينتشرون فى كل ركن ..

اجهزة الإنذار متحفزة للعمل ..

كل الظروف ضد نجاحه ..

ولكنه بقى هادئا ..

كانت هذه اهم مميزاته ..

الهدوء والشجاعة ، حتى فى احلك اللحظات ، واشدها خطرا ..

وفى بساطة ، وكانما يشاهد فيلما هزليا ، راح (نديم) يدير عينيه فيما حوله ، حتى توقف بصره عند النافذة ، فقال :

— هناك ثغرة على الأقل .

حمل مقعدا صغيرا ، واتجه به نحو النافذة ، وهو يستطرد :

— ومن حسن الحظ اننا فى الطابق الأخير .

حطم زجاج النافذة بضربة قوية من المقعد ، ثم اطل براسه منها ، وتطلع إلى أسفل ، حيث بدا له الأشخاص والأشياء كنقاط صغيرة ، وعاد يرفع راسه إلى اعلى فى هدوء ، ورأى حافة رفيعة للسطح ، تبعد عنه بمتر واحد ، فغمغم :

— نعم .. هناك فرصة للنجاة .

وقفز واقفا على حافة النافذة ، التى ترتفع ثلاثين طابقا عن الارض ، وراح يقيس المسافة التى تفصله عن تلك الحافة الرفيعة ..

وفجأة انفتح باب حجرة مكتب (صالح) ، واندفع عبره رجلان مسلحان ، هتف احدهما ، وهو يرفع مسدسه نحو (نديم) :

— ها هو ذا الدخيل .

واطلق النار ..

* * *



٥ — السقوط ..

كانت عملية دقيقة للغاية ..

وبالغة الخطورة ..

لقد تحفزت عضلات (نديم) كلها ، عندما اقتحم الرجلان الحجرة ..



وفى نفس اللحظة التى اطلق الرجل فيها الرصاص ، قفز (نديم) ..

قفز إلى أعلى ، نحو الحافة الرفيعة ، وسمع أزيز الرصاصة ، وهى تمرق بين قدميه ، وجسده معلق بين السماء والأرض ..

على ارتفاع ثلاثين طابقا ..

ولامست اصابعه الحافة الرفيعة ..

وتشبثت بها ..

وصرخ الحارس :

— قف ايها الدخيل .. لا مهرب لك .

ولكن (نديم) تجاهله تماما ، ودفع كل عضلاته إلى الانقباض ، ليرفع جسده إلى أعلى ..

إلى سطح المبنى ..

واندفع الحارسان نحو النافذة ، واطلقا رصاصتين بلا هدف ، نحو البقعة التى اختفى فيها (نديم) ، ثم صاح أحدهما برفيقه :

— لقد وضع نفسه فى فخ اكثر إحكاما .. اتجه مع (مندور) إلى باب السطح ، ولا تسمحا لذلك الدخيل بمغادرة السطح أبدا ، وسأرسل انا كل الرجال إلى هناك .

هتف رفيقه ، وهو يعدو لتنفيذ الأمر :

— وماذا لو وجد مخرجا ؟

صاح به الأول فى غلظة :

— كف عن حماقتك هذه .. كلنا نعلم ان المخرج الوحيد من السطح هو بابه ، وهليوكوبتر السيد (صالح) ليست هنا ، ولن يتبقى امام ذلك الدخيل إلا ان يقفز من ارتفاع ثلاثين طابقا .

وابتسم فى سخرية ، مردفا :

— وسيكون هذا من سوء حظه .

* * *

قفز (عزت) ، مدير مكتب (صالح عثمان) من مقعده ، مع رنين هاتفه ، والتقط سماعة الهاتف فى لهفة ، وهو يقول :

— أنا (عزت) ، من المتحدث ؟

انعقد حاجباه فى غضب ، عندما سمع صوت محدثه ، وقال فى عصبية :

— ماذا تريد يا (جابر) ؟.. إننى انتظر محادثة هامة من (باريس) .

بدا التوتر فى ملامحه ، وهو يستمع إلى (جابر) ، قبل ان يقول فى حدة :

— دخيل ؟!.. ماذا تعنى ؟.. كنت أظن ان المبنى محصن تماما ضد أى دخيل ، وأى ..

قاطعه (جابر) فى انفعال :

— ولكننا اوقعنا به يا سيدى ، وحاصرناه فى السطح .

قال (عزت) فى حدة :

— ماذا تريد منى إذن ؟.. تخلصوا منه على الفور .

سأله (جابر) فى تردد :

— إننى أسأل عما إذا كان ينبغى ان نقبض عليه حيا أم ..

قاطعه (عزت) فى عصبية :

— القوا به من اعلى المبنى ايها الغبى ، واخبر الشرطـة فيما بعد انه قد القى نفسه خوفا من الاعتقال .. ينبغى ان يتعلم الجميع ان هذا مصير كل من تسول له نفسه اقتحام صومعة (صالح عثمان) .

وانهى الاتصال فى حنق ، وهو يستطرد :

— هؤلاء الأغبياء .. إننى أنتظر اخبار صفقة بنصف مليون دولار .

وبدا انفعاله ممتزجا بتوق إلى الشـهوة للمـال ، وهو يستطرد :

— صفقة خاصة .

وبدت ابتسامته اشبه بابتسامة ذئب ..

ذئب مفترس ..

* * *

اجتمع رجال أمن مبنى (صالح عثمان) عند الباب المؤدى للسطح ، وقال رئيسهم (جابر) ، وهو يجذب مشط مسدسه ، ويتحفز للقتـال :

— سنهاجم جميعا دفعة واحدة ، ولكن حذار من إطـلاق النار عليه .. ينبغى أن نلقى القبض عليه حيا ، قبل أن نلقى به من فوق المبنى .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردا :

— فمن الضرورى الا يجد الطبيب الشرعى اية إصابات فى الجثة ، سوى إصابات السقوط من ارتفاع ثلاثين طابقا .

قالها وجذب فى صدره نفسا عميقا ، ثم اشار بكفه ، قائلا فى حزم :

— هيا .

اقتحم الرجال كلهم السـطح ، وشهروا مسدساتهم .. ولكن ..

كان السطح خاليا تماما ، إلا من الهليوكوبتر الصغيرة ، التى تحمل شعار شركات (صالح عثمان) ، فالتفت الرجال إلى (جابر) فى حيرة ، وقال هذا فى توتر ، وهو يشير إلى الهليوكوبتر :

— إنه يختفى هناك حتما .

اندفع الرجال نحو الهليوكوبتر ، وراحوا يدورون حولها ، وقد تضاعفت حيرتهم ، وراحوا يتبادلون نظرات الدهشـة والتوتر ، وغمغم (مندور) :

— اقسم إنه قد صـعد إلى السطح ، لقد رايته بنفسى ، انا و ...

بتر عبارته ، وكأنما لم يجد ما يضيفه إلى عبارته ، فى حين تمتم (جابر) فى توتر :

— مستحيل !!.. الوسيلة الوحيدة للفرار من هنـا هى الطيران ، ووسـيلة الطيران الوحيدة هنـا ما زالت على الأرض .

وتطلع فى حيرة إلى الأرض ، من ذلك الارتفاع الشاهق ، وهو يضيف :

— ما لم يمتلك ذلك الرجل جناحين .

وبدت عبارته هذه عجيبة ..

ومخيفة ..

* * *

انهمكت (غادة) فى ترتيب المكتب ، الذى قلبه صراعها مع (طومان) راسا على عقب ، حتى انها لم تكد تشـعر بوقع اقدام خلفها ، حتى قفزت واقفة على قدميهـا ودارت على عقبيها فى حدة ، ثم لم تلبث ان زغرت فى قـوة ، عندما وقع بصرها على (نديم) ، وهتفت :

— كدت أطلق النار على رأسك .

أدار عينيه فيما حوله ، قبل أن يسألها فى هدوء :

— ماذا حدث هنا .. معركة ؟!

تطلعت إليه (غادة) فى دهشة ، ثم قلدت أسلوبه ولهجته ، وهى تكرر :

— ماذا حدث ؟.. معركة ؟.. يا له من برود فاق البرود الإنجليزى التقليدى !.. الا ترى كل ذلك الدمـار ؟.. هل تتصور ان هذا قد حدث ؛ لاننى عطست بقوة مثلا ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يجلس على اقـرب مقعـد إليه ، ولكن ابتسامته الشحيحة هـذه لم تلبث ان تلاشت ، وهو يسألها فى جدية :

— هل تشاجرت مع احد ؟

أطلقت ضحكة قصيرة ، وهى تقول :

— بل مع فيل .

وراحت تقص عليه تفاصيل ما حدث لها مع (طومان) ، وهو يستمع إليها فى اهتمام ، حتى انتهت ، فقال :

— هذا يعنى أن جمعك المعلومات حول (صالح عثمان) قد أثار حنق هذا الأخير ، ودفعه إلى التخلص منك .

قالت مكملة :

— ويعنى أيضا أن ما يخفيه (صالح) يفوق حتى ما يعلمه عنه العالم السفلى .

ثم بدا وكأنها قد تذكرت امرا ما بغتة ، وهى تسـأله فى اهتمام مفاجىء :

— قل لى أنت : ماذا فعلت فى مبنى (صالح عثمان) ؟

ابتسم ابتسامته الشاحبة ، التى تتلاشى بأسرع مما تولد ، وقال :

— كانت مغامرة طريفة .

راح يقص عليهـا كل ما حدث ، حتى بلغ نقطة هجـوم (جابر) و (مندور) عليه فى حجرة (صـالح) ، وقفزه إلى السطح ، فهتفت به فى انفعال :

— يا إلهى !.. وماذا فعلت ؟

اجابها فى هدوء :

— هربت .

هتفت فى سخرية :

ـ هربت ؟!.. يا للبساطة !.. إن من يحصل على رغيف طازج من الخبز ، يمتلك قصة مثيرة افضل من قصة فرارك هذه .. هل تجد ان هروبك من ذلك المأزق امرا بسيطا ، حتى تكتفى فى شرحه بتلك الكلمة المقتضبة السخيفة ؟

قال فى بساطة :

ـ الواقع ان الفرار كان ابسط مما تتوقعين ، ومما تصور هؤلاء الأوغاد .

هتفت فى دهشة :

ـ كيف ؟.. لقد كنت محاصرا على السطح ، وليست امامك وسيلة للفرار ، وكل رجال (صالح) تقريبا يقطعون الطريق الوحيد للفرار ، فكيف تهرب ؟.

هز كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـ خمنى .

تطلعت إليه فى حيرة ، ولم تنبس ببنت شفة ..

وخيل إليها ـ على الرغم من هدوء ملامحه ان عينيه تحملان ضحكة ..

ضحكة ساخرة ..

* * *

« يا له من ثعلب !.. » .

نطقها (صالح عثمان) فى هدوء ، يخفى الكثير من ثورة اعماقه ، وهو يتابع شاشة تليفزيون كبيرة ملونة ، تعرض فيلما تم التقاطه لـ (نديم) دون ان يشعر هو نفسه ، وتابع وهو ينفث دخان سيجاره فى قوة :



ـ انظر يا (عزت) .. لقد انتظر حتى غادر (جابر و (مندور) الحجرة ، ثم عاد إليها ، وها هو ذا يترك تلك البطاقة فوق مكتبى ، وينصرف فى هدوء مثير للأعصاب ، دون ان يعترضه احد ، حتى يبلغ الباب السفلى ، فيعطل اجهزة الإنذار ، وينصرف فى بساطة ، كما لو انه يغادر منزله الخاص .

عقد (عزت) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إنه وغد جرىء .

قال (صالح) فى توتر :

ــ وطاقم حراسى من الأغبياء الحمقى ، وكل ما فعله هو ان استغل حماقتهم ، وتركهم يندفعون جميعا إلى السطح بلا ترو ، فى حين عاد هو ادراجه إلى المكان الوحيد ، الذى لا يتصورون عودته إليه ، ليجد الطريق امامه خاليا إلى الخارج .

ونفث دخان سيجاره مرة اخرى فى حدة ، قبل ان يضيف :

ــ ومن حسن حظنا انه لم يكن يعلم بوجود آلات التصوير السرية ، التى تعمل فور فتح الباب .

جلس (عزت) ، وهو يقول فى قلق :

ــ ولكن لماذا فحص المكتب .. مستحيل ان يكون على علم بوجود المخبإ السرى اسفله !

مط (صالح) شفتيه ، وقال :

ــ من يدرى ؟

ثم اضاف فى حزم :

ــ اسمع يا (عزت) .. اريد نسخ كل ما لدينا ، بجهاز نسخ الكمبيوتر ، وعمل اسطوانة كمبيوتر تحوى صور كل الوثائق ، ثم إعدام الوثائق كلها .

ابتسم (عزت) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ــ فكرة رائعة يا (صالح) بك .

ثم اضاف وهو ينحنى على نحو مبالغ فيه :

ــ معذرة يا (صالح) بك ، ولكن لدى خبر سىء .

عقد (صالح) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

ــ اسوا مما حدث ؟

تنحنح (عزت) ، وقال :

ــ لست ادرى فى الواقع ، ولكن (طومان) فشل فى القضاء على المحامية الشابة .

هتف (صالح) فى غضب :

ــ فشل ؟!.. هل اصبح فاشلا إلى حد العجز عن القضاء على امراة ؟

قال (عزت) :

ــ إنه يقول إنها قد فاجأته بكونها امراة غير عادية ، وبأنها مقاتلة شرسة ، حتى انها قد أطاحت بخنجره برصاصة واحدة من مسدسها ، من بعد ثلاثة امتار ، ولقد دفعنى هذا إلى طلب بعض التحريات عنها ، ولقد علمت انها شرطية سابقة ، وانها شريكة فى مكتب محاماه يملكه شرطى سابق ايضا ، يحمل اسم (نديم فوزى) .

صمت (صالح) تماما ، وهو يستمع إلى (عزت) ، ثم هز رأسه ، وكأنما يحاول استيعاب كل كلمة ، وقال :

ــ شرطية سابقة ؟.. هذا يعنى ان (طومان) الغبى لا يصلح للتخلص منها .

وابتسم ابتسامة مخيفة ، وهو يضيف :

ــ إنها تحتاج إلى (لوسى) .

تألقت عينا (عزت) ، وهو يقول :

— بالتأكيد يا سيدى .. إنها تحتاج إلى (أوسى) ، التى ندخرها لمثل تلك المهام .

هز (صالح) كتفيه ، وقال :

— إنها صاحبة أسلوب متميز ، لم تألفه (مصر) من قبل ، ولم تألفه شرطتها ، مما يجعل مهماتها ناجحة دوما .. إنها فى الواقع تستحق ذلك الأجر الباهظ الذى تتقاضاه .

أومأ (عزت) برأسه موافقا ، ثم عاد يسأل رئيســه فى اهتمام :

— ولكن ماذا عن ذلك الدخيل المجهول ؟

تطلع (صالح) إلى شاشـــة التليفزيون ، التى تعرض للمرة العشرين صور (نديم) بزيه التنكرى ، وهــو يقتحم الحجرة ، ثم نقل بصره إلى تلك البطـــاقة البيضـــاء ، التى تحمل فى منتصفها رسما لعقرب ذهبى ، وعاد يرفع عينيــه إلى (عزت) ، قائلا :

— سنفعل ما يفعله أى مواطن شريف ، فى مثل هــذه الأمور يا (عزت) .

وابتسم ابتســامة تحمل كل خبث الثعالب ، وشراســة الذئاب ، وهو يستطرد فى سخرية :

— سنبلغ الشرطة .

* * *

٦ — حصـار ..

تألقت عينا العقيد (مجدى) ، وهو يتطلع إلى البطـــاقة البيضاء ، التى تحمل رسم العقرب الذهبى ، وقال فى حدة تحمل كل انفعالاته :



— إذن فقد عاد .

سأله (صالح عثمان) فى اهتمام :

— من هذا الذى عاد ؟

أجابه (مجدى) فى انفعال :

— (العقرب) .

عقد (صالح) حاجبيه ، وهو يقول فى حيرة :

ــ (العقرب) ؟!.. من هذا (العقرب) ؟

قال (مجدى) فى حدة ، وهو يلوح بالبطاقة :

ــ إنه شاب يظن نفسه أقوى من الشرطة كلهـا ، وانه (زورو) المصرى ، حامى حمى الحق والفضيلة .

ثم اردف وهو يضم قبضته فى غضب :

ــ ولكننى سأوقع به هذه المرة .. اقسم ان افعل .

واندفع يستطرد فى حماس :

ــ قل لى يا سيد (صـــالح) : هل يمكننى رؤية شريط الفيـديو ، الذى سـجلته اجهـزتك السريـة ، لحـادثة الاقتحام ؟

قال (صالح) :

ــ بالتأكيد .. إننى دوما فى خدمة القانون والعدالة .

صحبه إلى حجرة جانبية ، احتشدت بأجهزة إليكترونية معقدة ، وقال لشاب يجلس أمام احد هذه الأجهزة :

ــ ادر الشريط .

ادار الشاب الشريط كله ، وراح (مجـدى) يتابعه فى انفعال شديد ، وهو يقول :

ــ إنه هـو .. لقد تعرفته ، على الرغم من الشـعر المستعار والشارب ..

إنه هو .

سأله (صالح) فى عصبية هذه المرة :

ــ من هذا ؟

اشار (مجدى) إلى صورة (نديم) على الشاشة وهو يقول :

ــ (العقرب) .. ها هو ذا .

أمسك (صالح) معصم (مجدى) بغتة ، وهو يقـول بلهجة تشف عن نفاد الصبر :

ــ اسمع ايها العقيد : إننى اكره الغموض ، واكره اكثر ان أستمع إلى الأحاديث المبهمة .. من الواضح انك تعرف من (العقرب) هذا ، فلماذا لا تخبرنى عن اسمه ؟

تطلع إليه (مجدى) لحظات فى دهشة ، ثم لم يلبث ان قال فى انفعال :

ــ معذرة يا سيد (صـــالح) .. كان ينبغى ان اخبرك بالفعل .

ثم مال نحوه ، مستطردا :

ــ إنه شرطى سابق يدعى (نديم) .. (نديم فوزى) .

تألقت عينا (عزت) ، عندما سمع الاسم ، وتبـادل مع (صالح) نظرة مفعمة بالانفعالات ، قبل ان يسأل (مجدى) فى اهتمام بالغ :

ــ أتقصد المحامى (نديم فوزى) ؟

قلب (مجدى) شفتيه فى ازدراء ، ولوح بكفه ، قائلا :

ــ هو نفســه .. لقد فصلــه السيد وزير الداخلية من صفوف الشرطة ؛ لأنه يدس أنفه دوما فيما لا يعنيه ، ويتجاوز القواعد والقــانون ، ولقد حاول أن يحصــل على ترخيص بافتتاح مكتب خاص للتحرى ، ولكننى رفضت طلبه ، فما كان منه إلا أن افتتح مكتبا للمحاماة ، وصنع لنفسه زيا أشبه بزى (زورو) الأسطورى ، وراح يقحم نفسه على عالم مكافحة الجريمة .

سأله (صالح) فى انفعال :

ــ ولمــاذا لم تلق الشرطة القبض عليه ؟

قال (مجدى) فى حنق :

ــ لأننــا لا نملك دليــلا يثبت أن (نديم فوزى) هــو (العقرب) .

ثم التفت إلى (صالح) ، مستطردا فى لهفة :

ــ ولكنك صديق شخصى للسيد وزير الداخلية يا سيد (صالح) ، ويمكنك إقناعه باعتقال (نديم) هــذا .. أليس كذلك ؟

تمتم (صالح) ، وهو ينفث دخان فى بطء :

ــ بالتأكيد يمكننى ذلك .

ولكنه لم يلبث أن استدرك فى سرعة :

ــ ولكننى أفضل الأسلوب القانونى بالطبع .

عقد (مجدى) حاجبيه فى ضيق ، وهو يردد مرغما :

ــ بالطبع .

ثم أضاف فى برود :

ــ هل يمكننى الحصول على صور ثابتة من هذا الفيلم ؟

أجابه (صالح) :

ــ بالتأكيد .

ثم أشار إلى الشاب الجالس أمام الأجهزة ، فضغط الشاب زرا صغيرا ، وانتظر بضع لحظــات ، حتى برزت صورة فوتوجرافية ملونة ، من تجويف خاص أسفل جهاز العرض ، تحمل لقطة واضحة لوجه (نديم) المتنكر ، فالتقطها الشاب ، وناولها إلى (مجدى) ، الذى حدق فيها بدهشــة ، جعلت (عزت) يغمغم :

ــ إنها التكنولوچيا .

التقط (مجدى) الصورة ، ودسها فى جيبه ، قائلا :

ــ نعم إنها التكنولوچيا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة تشف ، وهو يستطرد :

ــ ويمكنك أن تطمئن يا سيد (صالح) .. سأوقع هذه المرة بـ (العقرب) .. حتما .

* * *

ركضت والدة المهندس المتهم (أحمد) خلف (نديم) ، وهو يغادر قاعة المحاكمة ، فى ثوب المحاماه الأسود الفضفاض ، وتشبثت بذراعه ، قائلة فى توتر :



— لمــاذا طلبت تاجيل المحاكمة فى الجلسة الأولى ؟

توقف (نديم) ، والتفت إليها ، قائلا فى هدوء :

— اطمئنى يا سيدة (نوال) .. التاجيل لصالحنا هذه المرة ، فلابد لى من دراسة ملف القضــية جيدا ، والبحث عن ثغرة يمكن استغلالها لتبرئة ابنك .

قالت فى انفعال :

— ولكن التأجيل يعنى ان يبقى ابنى وقتا اطــول خلف القضبان .

تطلع (نديم) إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

— هذا افضل من ان يتدلى من حبل المشــنقة .. اليس كذلك ؟

ارتجفت لمجرد تصور الأمر ، وتمتمت فى حزن :

— اعذرنى يا سيد (نديم) ، ولكننى ام .

ربت على كتفها فى حنان ، وهو يقول فى حزم :

— اطمئنى ..

لم تكن الكلمة تعنى الكثير ، فى مثل هذه الظروف ، ولكن اللهجة الواثقة ، التى نطقها بها (نديم) ملأت قلب السيدة ، وبعثت فيه شيئا من الدفء ، جعلها ترفع عينيها وتتطلع إلى عينى (نديم) لحظة ...

وفى هذه اللحظة قرات فى عينيه الكثير ..

وفجاة خامرها شعور قوى بأن ابنها فى امان ..

وبانه لن يدان ابدا ..

وفجأة ايضا ارتفع من خلف كتفى (نديم) صـوت حنون يقول :

— اطمئنى بالفعل يا سيدى ، فـ (نديم) ليس مجرد محام .

التفت (نديم) يتطلع إلى وجه اللواء (حلمى) ، الذى تابع فى هدوء :

— اعنى انه محام من نوع خاص .

لم يبتسم (نديم) كعادته ، ولكن السعادة بدت واضحة فى عينيه ، وهو يقول :

— سيدى .. كم يسعدنى ان اراك هنا .

ربت اللواء (حلمى) على كتفه ، وهو يقول :

— يسعدنى دوما ان التقى بك يا ولدى .. قل لى : كيف حال قضيتك هذه ؟

اجابه (نديم) فى هدوء :

— صعبة .. ولكنها ليست مستحيلة .

اشار إليه اللواء (حلمى) ، وهو يقول :

— انت الوحيـد الذى يمكنه ربح مثل هـذه القضـية يا (نديم) .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى خفوت :

— خاصة لو استعنت بصديقك (العقرب) .

قال (نديم) فى هدوء ، دون ان يحمل وجهه ادنى انفعال :

— لقد اسعنت به بالفعل يا سيدى .

التمعت عينا اللواء (حلمى) لحظة ، قبل ان يقـول فى ارتياح :

— كنت واثقا من انك ستفعل .

نقلت السيدة (نوال) بصرها بينهما فى حيرة ، ثم سألت اللواء (حلمى) فى قلق :

— هل سينجو ولدى يا سيدى ؟

قبل ان تنفرج شفتا اللواء (حلمى) عن حـرف واحد ، ارتفع صوت صارم يقول فى غلظة :

— مطلقا .

اجفلت السيدة (نوال) ، وهى تدير عينيها فى جزع إلى (مجدى) ، الذى تابع فى حدة ، وهو يتجه نحوهم :

— الق القبض على هذا الشاب يا سيادة اللواء ، فهـو مجرم يقتحم الأماكن الخاصة عنوة .

نقل اللواء (حلمى) بصره بين وجه (مجدى) الظـافر الشامت ، ووجه (نديم) الهادىء ، الذى لا يشف أبدا عما يعتمل داخله ، وغمغم :

— حقا ؟!

اما (نديم) ، فقال فى برود :

— اى قول هذا ايها العقيد ؟

قال (مجدى) فى صرامة :

— القول الفاصل .. إننى أحمل دليلا هذه المرة .

وأخرج من جيبه الصورة ، وهو يقول :

— لقد زود السيد (صالح عثمان) حجرته بآلات تصوير خاصة ، تعمل فور فتح الباب ، وتلتقط فيلما كاملا للمقتحم ، حتى لو راح يعمل فى الظلام .

تطلع (نديم) واللواء (حلمى) إلى الصورة ، وقال (نديم) فى هدوء :

ــ أهذا هو الدليل ؟

هتف (مجدى) :

ــ إنه دليل قاطع .. يكفى أن نأتى بصورة لك ، ونضيف إليها شاربا كثا ، وشعراً غزيرا خشنا ، وستجد أنك صورة طبق الأصـــل من هذا المقتحم ، الذى ترك خلفــه بطــاقة (العقرب) .

أعاد إليه (نديم) الصورة فى هدوء ، وهو يقول :

ــ إنه مجــرد تشابه ، وأى وكيل نيابة مبتــدىء هنــا سيخبرك أن هــذه الصورة لا تعد دليــلا ، بأى حــال من الأحوال ، حتى ولو كانت صورتى أنا ، لا صورة ذلك السيد الذى يشبهنى ؛ لأن ملتقطها لم يحصل على إذن من النيابة بالتقاطها ، ثم إن الصورة توضح أن ذلك السيد يرتدى نوعا من القفازات المطاطية ، التى يرتديها الجراحون ، وهذا يعنى أنك لن تجد بصمة واحدة فى مكان الاقتحام .

ومال نحوه ، مستطردا فى برود مثير :

ــ وهذا يعنى أنه ما من دليل قانونى يدين أى مخلوق .

احتقن وجه (مجدى) ، وهتف :

ــ ولكنك أنت (العقــرب) ، وسأثبت يومــا أنك ذلك المجرم .

قال (نديم) فى هدوء شديد ، وإن التمعت عيناه نيمـا يشبه الجذل :

ــ إذن فأنت تهددنى على نحــو واضــح ، وفى وجــود شاهدين .. أتعلم أن هذا يمنحنى الحق فى أن أقاضيك بتهمتى السب العلنى واستغلال السلطة ؟

ازداد احتقان وجه (مجدى) ، وهو يقول :

ــ اسخر ما شئت أن تفعل أيها (العقرب) ، ولكن لتعلم أنك لا تواجه خصما عاديا هذه المرة ، وإنما تواجه (صالح عثمان) ، أكبر رجل أعمال فى (مصر) ، والصديق الشخصى للسيد وزير الداخلية ، ولقد تقدم السيد (صالح) بشكوى رسمية ، بخصوص اقتحام مكتبه ، ولقــد أخبرته أنا أنك المشتبه فيه رقم واحد ، ولست أظنه سيقف موقفا سلبيا فى هذا الشأن .

بدا القلق على وجه اللواء (حلمى) ، فى حين قال (نديم) فى هدوء :

ــ لا .. لست أظنه سيفعل .

هتف (مجدى) فى لهجة أقرب إلى الشماتة ، وهو يبتعد :

ــ صدقنى أيها (العقرب) .. لقد وقعت هذه المرة .. سيحاصرك (صالح عثمان) حصارا لا فكاك منه .. لقــد وقعت بحق .

وارتجف قلب اللواء (حلمى) قلقا ..

* * *

٧ ـ زائر غامض ..



دلف (عـزت) إلى مكتب (صـالح) ، وهـو يحمل اسطوانتى كمبيوتر رفيعتين ، سلمهما إلى (صالح) ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى كل الوثائق يا سـيدى .. لقـد قمـت بتخزينهـا على اسـطوانة كمبيوتر، صنعت منها نسختين متماثلتين ؛ لضمان عدم إتلاف المعلومات تحت أيـة ظـروف ، كما قمت بتدمير الوثـائق الأصلية .

تناول (صالح) الأسطوانتين ، وقال :

ـ عظيم .. والآن ماذا لديك عن (نديم فوزى) هذا ؟

أجابه وعيناه تحملان تلك النظرة الشبيهة بالثعالب :

ـ معلومات بالغة الخطورة يا سـيدى .. إنه مقـاتل شرس ، جرىء ، لا يبالى بقوة خصمه أو سطوته ، وهـو الذى أوقع بـ (نعمان والى) .

عقد (صالح) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ هو نفسـه ؟!

ـ ويقولون إنه يرتدى أحيانا زيا أسود اللون ، مع قناع وقفازين ، كما لو كان شخصـية أسطورية ، وهو شريك

للفتاة التى فشل (طومان) فى قتلها ، ويبدو انهما يعملان معا ضدنا .

مط (صالح) شفتيه ، قائلا :

ـ ضدى أنا ؟!.. يا للسخافة !

ثم رفع عينيه إلى (عزت) ، مستطردا فى حزم :

ـ أريد هذا الفتى حيا يا (عزت) .

انحنى (عزت) ، وهو يقول فى خبث :

ـ أمرك مطاع يا سيد (صالح) .

ثم اعتدل مستطردا :

ـ وماذا عن (لوسى) ؟

عقد (صالح) حاجبيه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ماذا عنها ؟

أجابه (عزت) :

ـ هل نتم مهمتها بشأن الفتاة ؟

هتف (صالح) فى حزم :

ـ بالطبع .. دعها تخلصنا من الفتاة ، فى حين نعمل نحن على اقتناص الفتى .

قال (عزت) فى خفوت :

ـ ولكنها تطلب خمسين ألفا هذه المرة .

أجابه (صالح) ، وهو يلوح بكفه فى حزم :

ـ امنحها ما تطلبه .

ثم زمجر مستطردا :

ـ على ألا تفشل هى أيضا .

ابتسم (عزت) ، وهو يقول :

ــ إن (لوسى) تملك أسلوبا خاصا ، ثم إنها لم تفشل فى عملياتها ابدا .

غمغم (صالح) فى سخرية :

ــ هناك مرة أولى دائما .

قال (عزت) فى خبث :

ــ لن تكون هذه المرة .

ثم اضاف بلهجة جادة :

ــ وبالمناسبة ، سيصل (سوريال) الليلة .

رفع (صالح) عينيه إليه ، وامتلأت كل خلجاته بالاهتمام ، وهو يقول :

ــ (سوريال) بنفسه ؟!

قال (عزت) مبتسما :

ــ بشحمه ولحمه .

قال (صالح) فى اهتمام :

ــ لا ريب ان حجم الصفقة رهيب هذه المرة .

مال (عزت) نحوه ، وهو يقول :

ــ بالتأكيد ، فهو يتعلق بمشكلة الجنوب فى (السودان) ، وبعملية تقسيم (لبنان) ، و ....

قاطعه (صالح) :

ــ اعلم هذا .. اعلمه .

ثم اضاف فى حزم ، وهو يتراجع بمقعده :

وهذا يعنى انه من الضرورى ان ننهى عملية (العقرب) هذه .. وباقصى سرعة .

* * *

استمعت (غادة) إلى حديث (نديم) فى انفعال ، ثم قالت فى حماس :

ــ إذن فقد اخبر (مجدى) (صالح عثمان) بأمرك ، وصار اللعب بأوراق مكشوفة .

قال فى هدوء :

ــ هل يخيفك هذا ؟

ابتسمت فى جذل ، وهى تقول :

ــ بل يجعل الامر اكثر متعة .

أضاف فى هدوء :

ــ وخطورة .

ثم شبك اصابع كفيه امام وجهه ، مستطردا :

ــ ثم إن هذا يفسد الكثير من عمــل (العقرب) ، الذى يعتمد على السرية والغموض .

ضحكت وهى تقول :

ــ اطمئن ، ما دام (صالح) قد حصل على كل معلوماته من العقيد (مجدى) ، فسيظل الشك جزءا من معرفته هذه ، ويمكننا ان نضاعف هذا الشك فى اعماقه ، ونزيد من حيرته ، مما يربكه ويمنحنا نقطة تفوق .

هز رأسه فى هدوء ، وهو يقول

ــ أمثال (صالح عثمان) لا يرتبكون بسهولة يا عزيزتى ، ليس لانهم شجعان صــناديد ؛ بل لأن ثقتهم بقوتهم تجعلهم

يظنون انه ما من احد يمكنه هزيمتهم ، وان لا داعى للخوف من أى مخلوق ، ولكن هذه الثقة المفرطة فى حد ذاتها تعد نقطة ضعف كبيرة ، إذا ما احسن المرء استغلالها .

ضحكت (غادة) مرة أخرى ، وهى تقول :

ــ يا لك من فيلسوف .

تابع فى هدوء ، وكانه لم يسمعها :

ــ ولكننى اشعر أن (صالح عثمان) هذا يخفى امرا رهيبا ، هو سر ثروته المفرطة ، التى لم يبلغها مثله من قبل .. أمر يفوق العمل بالمقاولات والتهريب ، وحتى المخدرات .

سالته فى حيرة :

ــ وما الذى يفوق ارباح تجارة المخدرات ؟

تطلع إليها لحظة ، ثم اجاب فى حزم واقتضاب :

ــ السلاح .

وشعرت (غادة) فى اعماقها بارتجافة ..

***



هبطت الطائرة القادمة من (باريس) ، فى ميناء (القاهرة) الجوى ، وغادرها رجل اشقر الشعر ، أزرق العينين ، توحى كل ملامحه وحقائبه بأنه فرنسى ، على الرغم من أن لهجته الفرنسية كانت تشف عن انه ليس فرنسى الأصل ، او انه من سكان شرقى (فرنسا) ، إلا ان كل هذا لم يعن شيئا ، عندما تم استقبال ذلك الفرنسى فى قاعة استقبال كبار الزوار بصفة استثنائية ، حيث كان ينتظره (عزت) ، الذى ابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يرحب به ، قائلا :

ــ مرحبا يا مسيو (سوريال) .. كيف حالك ، وكيف حال الرجال هناك ؟

اجابه (سوريال) بلغة عربية ، وبلهجة مصرية خالصة :

ــ جميعهم بخير يا مسيو (عزت) .. المهم كيف حال الرجل هنا ؟

ابتسم (عزت) ابتسامته التى تحمل الكثير من الخبث ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا رجل .. إننى اسيطر عليه سيطرة تامة هنا .

واطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يضيف :

ــ ثم إنه يعبد المال ، وهذا يجعل الأمر اكثر سهولة .

ابتسم (سوريال) فى ارتياح ، وقال :

ــ بالتاكيد .. إننى اميل إلى التعامل مع أولئك الذى يعبدون المال .

استقلا معا سيارة فاخرة ، تحمل شعار شركات (صالح) ، و (سوريال) يقول :

ـ هذه المرة ستكون الصفقة بالغة الضخامة .

قال (عزت) فى شراهة :

ـ لقد وعدتنى بعمولة تبلغ نصف مليون دولار .

ابتسم (سوريال) ، ورمقه بنظرة جانبية ، وهو يقول :

ـ لقد وافق الرجال على رفعها إلى مليون دولار دفعـــة واحدة ، لو تمت الصفقة كما ينبغى .

فرك (عزت) كفيه فى لهفة ، وسال لعابه لسماع المبلغ ، وهو يقول :

ـ ومن سيحمل السلاح هذه المرة ؟.. المتمردون فى جنوب (السودان) أم ميليشيا الكتائب فى (لبنان) ، أم ..

قاطعه (سوريال) فى حزم :

ـ بل المصريون .

حدق (عزت) فى وجهه بدهشة ، وهو يقول :

ـ المصريون ؟!.. ولمــاذا يحمل المصريون السلاح ؟!.. وضد من ؟!

ابتسم (سوريال) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ ضد عدوهم التقليدى ، عبر ما يقرب من نصف القرن يا عزيزى .

ثم مال نحوه ، مستطردا بابتسامة أكثر غموضا :

ـ ضد الإسرائيليين .

وكانت مفاجأة بحق ..

* * *

٨ ـ صفقة الموت ..

عقد (صالح عثمان) حاجبيه فى شدة ، وهو يستمع إلى (سوريال) ، قبل أن يغمغم فى شك :

ـ حـــرب مصرية إسرائيلية ؟!.. وكيف يمكن أن تشتعل هذه الحرب ؟.. ألا تعلم يا رجل أنه هنـــاك معاهدة سـلام مصرية إسرائيلية ، وأن ..

قاطعه (سوريال) مبتسما فى هدوء :

ـ المعاهدات والأوراق مجرد أشياء يمكن تمزيقها وتجاهلها يا مسيو (صالح) ، عندما تبدأ الاضطرابات على الحدود .

ازداد انعقاد حاجبى (صالح) ، وهو يقول :

ـ وكيف تحدث هذه الاضطرابات ؟

اتسعت ابتسامة (سوريال) ، وهو يقول :

ـ إنها مهمتك يا مسيو (صالح) .

هتف (صالح) مستنكرا :

ـ مهمتى أنا ؟!

اعتدل (سوريال) بغتة ، ومال نحو (صالح) ، قائلا فى حزم :

ـ اسمع يا مسيو (صالح) .. عنـــدما قبلت العمل ، كواحد من كبار تجار السلاح فى الشرق الأوســـط ، الذين نسبغ عليهم حمايتنا ، كان هذا يعنى التخلى عن كل عواطفك وانتماءاتك ، وأن تبذل دوما أقصى جهدك ؛ لتفعل كل ما نطلبه منك ، وكل ما يكفل لنا النجاح ، ولتعلم أن الحرب المصرية

الإسرائيلية كانت دوما الممول الأكبر لنا فى تجارة الأسلحة ، فى منطقة الشرق الأوسط كلها ، وبانتهائها فقدنا موردا كبيرا للمـــال فى المنطقة ، وحتى الحروب والصراعات الجانبيـــة التى دفعنا الشعوب إليهـــا دفعا لم تمنحنا ما يعوض ذلك ؛ لذا فقد راى الرؤساء ، بعد دراسة الأمر من كل الوجوه ، انه من المحتم ان تشتعل الحرب المصريـــة الإسرائيليـــة مرة اخرى .

ثم تراجع فى مقعده ، ولوح بكفه مستطردا :

ــ ثم إنك ستربح من هذا ما يقرب من مليارى دولار .

جاء دور (صـــالح) ليميل نحو (سوريال) ، قائـــلا فى صرامة :

ــ ينبغى ان تعلم اولا اننى بالفعل اقوى رجالكم فى الشرق الأوسط ، وانكم لا تستطيعون تعويضى ، فلقد بلغت شانا يصعب ان يبلغه رجل يعمل بعيدا عن لعبة السياسة ، حتى اننى اكاد اكون الوحيد من المدنيين ، غير السياسيين ، الذى يمتلك طائرة خاصة ، بتصريح مميز من وزير الدفاع المصرى نفسه ، وهليوكوبتر خاصة لتنقلاتى عبر مواقع عمل شركاتى المختلفة ، ولقد نجحت باتصـــالاتى فى منحكم حجم تعاقدات يبلغ عشرة مليارات دولار ، خـــلال عامين فحسب ، ولكننى فى النهاية مصرى ، وليس من السهل أن اسعى لإشعال حرب مصرية إسرائيلية .

ابتسم (سوريال) ابتسامة اقرب إلى السخرية ، وهـــو يقول :

ــ العاملون بتجـــارة الســـلاح لا ينتمون إلى اية دولة يا مسيو (صـــالح) ، إنهم ينتمون للمال وحده .. هو وطنهم وسيدهم وهدفهم .. لقد عقدت انا نفسى صفقتين رائعتين فى (باريس) ، إحداهما مع حكومة جنوب إفريقيا البيضـــاء ، والثانية مع الثوار السود فى جنوب (إفريقيا) نفسها .. إننا لا نهتم بمن الرابح او الخاسر فى كل الحروب ، المهم ان تمتد الحرب لأطول مـــدى ممكن ، وان نبيع الأســـلحة بمليارات الدولارات .. وحتى عندما تشـــتعل الحـــرب المصريـــة الإسرائيلية ، فإننا سنبيع الأسلحة للطرفين على حد سواء .. المهم هو أن نربح .. المهم هو الأوراق الخضراء يا رجل .. اوراق البنكنوت .

قال (صالح) فى حدة :

ــ وهذا ما اقصده انا ايضا ، فلست أرفض الحرب بسبب عواطف وطنيـــة ، وإنما لأن الحـــرب ستفقدنى الكثير من امتيازاتى .

اسرع (سوريال) يقول :

ــ وستمنحك مليارى دولار دفعة واحدة .

صمت (صالح) يفكر فى الأمر ، وراح ينفث دخان سيجاره فى عمق ، قبل ان يقول :

ــ وكيف يمكن إشعال حرب كهذه ، بعد ان هدات الأمور ؟

ابتسم (سوريال) ابتسامة رجل بلغ ماربه ، وقال :

ــ فقط عليك ان تدفع بعض المهربين ، الذين يعملون لحسابك ، لزرع بعض القنابل على خط الحدود ، فى (طابا)

او (غزة) ، او غيرهما ، وعندما تنفجر القنابل سنتكفل نحن بالباقى .

صمت (صالح) دقيقة اخرى ، ثم غمغم :

ــ مقابل مليارى دولار ؟

اجابه (سوريال) فى إغراء :

ــ على الأقل .

اعتدل (صالح) دفعة واحدة ، وقال :

ــ اتفقنا .. متى نوقع العقد الخاص .

اتسعت ابتسامة (سوريال) ، حتى كادت تلتهم وجهه كله ، وهو يقول :

ــ فى (باريس) كالمعتاد ، مساء الغد .

قال (صالح) فى ارتياح :

ــ لا بأس .. سيمنحنى هــذا فرصــة كافية لسحق (العقرب) اولا .

عقد (سوريال) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ اى عقرب هذا ؟

ابتسم (صالح) قائلا :

ــ لا تقلق نفسك بشأنه يا مسيو (سوريال) .. إنه مجرد عقرب ، وسينتهى أمره تماما .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ــ الليلة .

***

وضعت (غادة) الكمبيوتر الجديد فى موضع القديم ، وهى تقول فى حدة :

ــ أقسم أن يدفع (صــالح عثمان) هــذا ثمن الكمبيوتر القديم ، الذى حطمه ذلك الدب ، الذى أرسله لقتلى .

قال (نديم) فى هدوء :

ــ عندما نوقع به ستكون فاتورته ضخمة للغاية .

ثم استطرد فى بساطة :

ــ هل ستعودين إلى منزلك ؟.. إنهــا الحادية عشرة مساء .

قالت فى اهتمام :

ــ لا .. يمكنك أن تنصرف أنت ، فسـابقى انا ؛ لإعداد الكمبيوتر الجديد للعمل .

قال وهو يتجه إلى الباب :

ــ لا بأس ، ولكن انتبهى جيدا هذه المرة .

ابتسمت قائلة :

ــ اطمئن .

سمعته ينصرف ، ويغلق الباب خلفه ، فغمغمت مبتسمة :

ــ يا لك من رجل يا (نديم) !!.. إنك من ذلك النــوع النادر ، الذى يحيــا وسط المخاطر فى هدوء ، كمــا لو كان يسبح فى مسبح خاص ، وهــو يرقد فوق مرتبة غير قابلة للغرق .

وارتفع حاجباها فى حنان ، وهى تستطرد :

ــ ولعلنى لهذا احبك .

ثم زفـــرت فى قـــوة ، وهى تداعب أزرار الكمبيـــوتر ، مستدركة :

— دون ان تشعر انت بنبض قلبى .

راحت تختبر الكمبيوتر الجديد فى اهتمـــام استغرق كل حواسها ، حتى أنها قد انتفضت عنـــدما ارتفع رنين جرس الباب بغتة ، وتمتمت :

— اى زائر سخيف هذا ؟

اتجهت نحو الباب فى سرعة ، إلا ان موجة من القلق ملأت نفسها بغتة ، وجعلتها تتساءل عمـــا إذا كان من المحتمل ان يكون الطارق احد رجال (صالح عثمان) ؛ لذا فقد انحنت تتطلع عبر العين السحرية التى تتوسط الباب ..

وملأتها دهشة بالغة ..

كانت هناك سيدة بالغة الجمال والأناقة ، فى منتصـــف الثلاثينيات تقريبا ، تقف أمام الباب فى هدوء ..

وفى حيرة فتحت (غادة) الباب ، وراحت تتطلع إلى تلك الشقراء الفاتنة ، التى ترتدى ثوبا أنيقا غالى الثمن ، وقفازين حريريين ، وتبتسم بشفتين ســـاحرتين ، وعينين زرقاوين رائعتين ، وهى تقول :

— اهذا مكتب (نديم فوزى) ؟

اشارت (غادة) إلى اللافتة التى تحمل اسم (نديم) ، والتى تتوسط الباب ، وهى تقول :

— أظنه هو حتما ، ولكن (نديم) نفسه قد انصرف منـــذ قليل ، و ...

قاطعتها تلك الفاتنة قائلة :

— اعلم ذلك ، لقد رايته ينصرف .

لم ترق ابتسامتها لـ (غادة) ، وهى تستطرد :

— إننى اريدك انت .

عقدت (غادة) حاجبيها ، وهى تقول فى دهشة :

— تريديننى انا ؟.. لمـــاذا ؟

بدت ابتسامة الفاتنة أشد غموضا ، وهى تجيب :

— سأخبرك كل شىء بالتأكيد ، ولكن أعتقد انه ينبغى ان نتعارف أولا :

واتسعت ابتسامتها ، وهى تضيف :

— اسمى (لوسى) ..

* * *

غادر (نديم) البناية التى تضم مكتبه ، واتجه فى هدوء إلى سيارته ، التى تستقر على بعد خطـــوات ، وقد خـــلا الشارع تقريبا من المـــارة ، ولكن رجلا برز من خلفه فجأة ، وهو يقول فى صرامة :

— السيد (نديم فوزى) .

التفت (نديم) إلى مصدر الصوت فى هدوء ، وتطلع إلى الرجال الثلاثة ، الذين احاطوا به على نحو مريب ، هـــو يقول :

— نعم أظننى هو .



ابتسم الرجل ابتسامة مريبة ، وهو يقول :

ـ عظيم .

وهنا ادرك (نديم) انه لا مجـال للتردد ، وانه عليه ان يتحرك فى سرعة ، او ...

او يخسر كل شىء ..

وتحرك (نديم) بغتة ..

وبكل قـواه ، لكم الرجل الواقف امامه فى فكه ، وسمع صوت إحدى أسنان الرجل تتحطم ، ولكنه لم يتوقف ليتأكد من ذلك ، بل دار على عقبيه فى سرعة ، ولكم الرجل الثانى فى انفه ..

وفجاة برز من مدخل البناية ثلاثة رجال آخرين ، انقضوا على (نديم) ، الذى وجد نفسه بغتة يواجه اربعة رجال ..

وقبل ان يشتبك (نديم) مع الرجـال الاربعة ، شعر بضربة عنيفة على مؤخرة عنقه ..

ودارت به الأرض ..

وحاول ان يتشبث بشىء ..

اى شىء ..

ولكنه سقط ..

سقط فاقد الوعى بين خصومه ..

ونهض الرجـل الاول ، الذى فقـد اثنتين من أسنانه الأمامية ، وهو يقول فى حنق :

ـ سأقتل هذا الحقير .. لقد حطم اسنانى .

اوقفه رجل آخر فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لا .. لقد طلبه (صالح) بك على قيد الحياة .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردا :

ـ إنه يفضل قتله بنفسه .

مط الرجل الأول شفتيه فى سخط ، وقال :

ـ حسنا .. دعونا نحمله إليه إذن ، فانا اتعجل موته .

وحمل الرجال (نديم) الفاقد الوعى إلى سيارة تنتظر قريبا ..

وانطلقوا به إلى حيث ينتظره مصيره ..

إلى حيث الموت ..

* * *

٩ـ القتلة ..

بدت (لوسى) شديدة الجمال والغموض ، فى عين (غادة) ، وهما تجلسان فى مواجهة بعضهما البعض ، فى حجرة (غادة) ، حتى ان هذه الأخيرة قد شعرت بشىء من القلق ، وهى تتطلع إلى ابتسامة (لوسى) ، وتلك السيجارة المشتعلة بين أصابعها ، وقالت محاولة دفع اكبر قدر من الهدوء إلى صوتها :

ـ حسنا يا سيدة (لوسى) ، ما سر هذه الزيارة الغامضة ، قبيل منتصف الليل ؟

اجابتها (لوسى) فى هدوء ، وهى تطفئ سيجارتها فى بطء :

ـ الواقع أننى افضل دوما التعامل مع الرجال يا عزيزتى (غادة) ، ولكنهم أخبرونى انك قوية الشكيمة ، وصلبة ...

قاطعتها (غادة) بنفاد صبر :

ـ وماذا ؟

اتسعت ابتسامه (لوسى) ، وكانما يروق لها إثارة أعصاب محدثها ، وقالت فى هدوء :

ـ الواقع ايضا اننى قد انتظرت انصراف السيد (نديم) ؛ لأننى اريدك وحدك ، فلقد اتيت هنا لمهمة محدودة .

سألتها (غادة) فى اهتمام :

— ما هى ؟

وفجأة ، دون سابق إنذار ، قفزت قـــدم (لوسى) تركل (غادة) فى وجههـــا بقوة وعنف ، على الرغم من صـــوت (لوسى) الهادىء ، وهى تقول :

— قتلك .

سقطت (غادة) أرضا ، ودارت الأرض أمام عينيها ، من عنف الضربة والمفاجأة ، ورأت بعينين زائغتين (غادة) وهى تنهض ، وتقول بنفس ابتسامتها :

— ويبدو أن ذلك الأمر ليس بالصـــعوبة التى أوحوا لى بها .

قالتها ، وركلت (غادة) فى معدتها بكل القسوة والقوة ، فتأوهت (غادة) فى ألم ، ثم دفعت جســـدها جانبا ، وهى تقول :

— هذا ما يبدو ظاهريا ، ولكن ..

قبل أن تتم عبارتها ، هوت قبضة (لوسى) على معدتها فى عنف ، وهذه الأخيرة تقول فى سخرية :

— ولكن ماذا ؟

كان تأثير المفاجأة عنيفا بالنســـبة إلى (غادة) ، التى لم تتوقع أبدا من تلك الفاتنة ، كل هذه الشراسة والعنف ، حتى أنها لم تستطع استعادة سيطرتها على نفسها بالسرعـــة المطلوبة ..

ولم تكن (لوسى) لتمنحها حتى الفرصة لذلك ..

لقد احتملت (غادة) آلام الضربات بالفعل ، وحاولت أن تنهض ..

وأن تقاتل ..

ولكن (لوسى) أخرجت من حقيبتهـــا بخاخة صغيرة ، وأخفت أنفها بقفازها الحريرى ، وهى تضغط قمة البخاخة ، وتدفع الكثير من رذاذ بارد فى وجه (غادة) ، قائلة :

— هيا يا عزيزتى .. استسلمى للنوم ، لا أحـــد يقاوم (لوسى) كثيرا .

عبـــر ذلك الرذاذ البـــارد أنف (غـــادة) ، وتصـــاعد إلى رأسها فى سرعة ، وراح مخها يدور فى فراغ جمجمتها ، وخفتت الأضواء أمام عينيها ، وهى تقاوم للنهوض ، هاتفة :

— أيتها اللعينة !

ثم انهارت مقاومتها دفعة واحدة ..

وسقطت عند قدمى (لوسى) ..

وفى شىء من الزهو ، ابتسمت (لوسى) ، وهى تعيـــد البخاخة إلى حقيبتها ، قائلة :

— قلت لك لا أحد يمكنه أن يهزم (لوسى) .

وانحنت تجذب جسد (غادة) ، مستطردة :

— إننى فريدة فى أسلوبى .

جذبت (غادة) حتى مطبخ المنـــزل ، وتركتهـــا تستلقى أرضا ، ثم اتجهت نحو ماسورة الغـــاز ، وفتحت صمامها ، وهى تقول فى سخرية :

ــ سيبدو الأمر كما لو كان حادثا .. مجرد فتاة نسيت إغلاق صمام الغاز .

قالتها وفتحت الموقد ؛ ليتسرب الغاز ، وهى تخفى أنفها بقفازها الحريرى ، قبل تستطرد :

ــ الوداع أيتها الشرطية السابقة .

وفى هدوء وبساطة ، غادرت المكتب كله ، وأغلقت الباب خلفها فى إحكام ..

لقد انتهت مهمتها ..

ونجحت ..

* * *

خيل لـ (نديم) أنه يهوى فى بئر عميقة ، لا قرار لها ..

ويهوى ..

ثم راحت سرعة السقوط تنخفض ..

واستيقظ عقله دفعة واحدة ..

وفى بطء فتح عينيه ، وهو يشعر بصداع رهيب ، وطالعه مشهد السماء بنجومها المتلألئة ، فتمتم تلقائيا :

ــ أين أنا ؟

رأى وجها يميل نحوه ، ويقول فى سخرية :

ــ أنت هنا .. على سطح مبنى (صالح) بك .

ميز (نديم) وجه (عزت) ، وأدار عينيه قليلا ، فتوقفتا عند الهليوكوبتر الخاصة ، التى تحمل شعار شركات (صالح عثمان) ، وفاجأه صوت هذا الأخير ، وهو يقول :

ــ إذن فأنت هو (العقرب) .

وعلى الرغم من ذهنه شبه المشوش ، غمغم (نديم) :

ــ أى عقرب ؟

تطلع (صالح) إلى (عزت) فى شىء من الشك ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ لا تحاول الإنكار .. كلنا نعلم أنك ذلك المتحذلق ، الذى يطلق على نفسه اسم (العقـرب) ، والذى يقتحم مكاتب الناس بكل صفاقة ويترك خلفه بطاقته السخيفة .

أغلق (نديم) عينيه فى قوة ، وكأنما يحاول التغلب على الصراع العنيف ، الذى يكتنف رأسه ، وغمغم :

ــ إننى مجرد محام .

قال (صالح) فى ضيق :

ــ لست هنا للاستجواب والمناقشة .. لقد أصدرت الحكم بالفعل .

شعر (نديم) بـ (عزت) يكشف ذراعه ، ويدفع فيه إبرة محقن ما ، فغمغم :

ــ ما هذا ؟

أجابه (صالح) :

ــ إنه عقار خاص ، سيجعلك فى حالة شبه غيبوبة ، بحيث تعجز عن القتال ، وإن كنت ستشعر بكل ما حولك .

ثم أشار إلى الهليوكوبتر ، مستطردا :

ــ هل ترى هذه الهليوكوبتر الأنيقة ، الفريدة من نوعها فى مصر ؟.. إنها هليوكوبتر خاصة ، من النادر أن يحصل

عليها رجل أعمال هنا ، ولكننى حصلت عليها بتصريح خاص، اعتمادا على انتشار مشروعاتى العقارية على نحو كبير ، وبعض هــذه المشروعات يقبع فى قلب الصحراء ، حيث ستحملك الهليوكوبتر بعد قليل .

واشعل سيجاره الفاخر ، وهو يتابع فى سخرية :

— ولن تحملك الهليوكوبتر إلى موقع المشروع بالطبع ، فهناك الكثير من العمال ، الذى سيريبهم الأمر ..

واتسعت ابتسامته ، وهو ينفث دخان سيجاره ، مردفا :

— إنهم سيلقونك فى الصحراء .

توترت أعصاب (نديم) ، ولكنه شعر بتراخ فى عضلاته ، يمنعه من المقاومة ، وهو يتمتم :

— لمــاذا ؟

هز (صالح) كتفيه ، ونفث دخان سيجاره ، وهو يجيب :

— الواقع أننى رجل أكره المشــاكل ، وأميل دومــا إلى التخلص من كل ما يسبب لى الأرق والقلق .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

— وأنت تسبب لى هذا .

ارتسمت ابتسامة ثعلبية على شفتى (عزت) ، فى حين برز رجلان من رجال (صالح) ، حملا (نديم) إلى الهليوكوبتر ، وأجلسا جسده المتراخى على المقعد المجاور لمقعد الطيار ، وثبتاه بحزام المقعد فى قوة ، و (صالح) يضيف مبتسما :



— رحلة سعيدة يا سيد (نديم) .. اطمئن .. لقد أمرت طيــار الهليوكوبتر بإلقائك من ارتفــاع كبير ، وســيتكفل ارتطامك بالأرض بالباقى .

غمغم (نديم) فى غضب :

— أيها الوغد ..

أطلق (صالح) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— وغد ؟!.. يا له من لقب !

ثم التفت إلى شاب قوى البنية ، واستطرد :

— هيا .. أريد أن ينتهى الأمر ، قبل أن تنطلق طائرتى إلى (باريس) .

أومأ الشاب برأسه إيجابا ، وقال :

— سيحدث هذا بالتأكيد يا سيدى .

واتجه إلى الهليوكوبتر ، وأدار محركها ، و (صـــالح) يكرر فى سخرية :

ــ الوداع أيها (العقرب) .

وارتفعت الهليـوكوبتر بـ (نديم) ، وانطلقت بـــه إلى الصحراء ..

.. إلى حيث ينتظره الموت ..

نهاية الجزء الأول
ترقب البقية فى الجزء الثانى من
(ملك الجريمـة)
فى العدد السادس من كوكتيل ٢٠٠٠

قصة العدد



لعنة البحر

١ ــ رحلة ..

شعرت ببهجة شديدة ، وانا اقطع الكيلومترات الباقيه بسيارتى ، وسط جبال الرمال الصفراء ، متجها إلى شاطىء البحر ، فى مصيف (بلطيم) ، تلبية لدعوة مفتوحة ، وجهها لى صديق عمرى ، وزميل دراستى (حسن) ، لقضاء بضعة أيام معه ، فى كوخ يمتلكه على الشاطىء ، بالقرب من فنار (بلطيم) ، ويطلق عليه ، كعادة سكان هذه المنطقة ، اسم (العشة) ، ويقضى فيه الصيف كله تقريبا وحده ، ويعتبره المحفز الأول لأفكاره واشعاره ، منذ صار اديبا شاعرا ، يشار إليه بالبنان ..

والعجيب ان دراستنا ــ (حسن) وانا ــ لم تكن تنتمى إلى الدراسات الأدبية على الإطلاق ، فكلانا خريج كلية العلوم ، وإن اختلف تخصصانا ، فانا متخصص فى علم الحيوان ، وهو فى علم طبقات الأرض (الچيولوچيا) ، ولكن (حسن) كان يمتلك دوما ذلك الحس الأدبى ، وتلك الموهبة الخلاقة ، التى جعلته يعمل محررا هاويا فى واحدة من اشهر الصحف المصرية ، قبل حتى ان يتخرج من الكلية ، ثم لم يلبث ان التحق بها محررا محترفا بعد التخرج ، وانطلق عبر صفحاتها يصنع مجده الادبى ، حتى صار واحدا من اشهر ادباء وشعراء (مصر) ..

ومن بعيد لاح لى الكوخ المنعزل ، او العشة المصنوع نصفها السفلى من الطوب والاحجار ، والمغطى نصفها العلوى بجدران وسقف من البوص ، كمعظم العشش الأخرى ..

ولقد كانت عشة (حسن) هذه منعزلة بحق ، فعلى امتداد نصف الكيلومتر ، على جانبى الشاطىء ، لم تكن تجاورها اية عشش اخرى ، فقد شيدها هو فى لسان رملى خاص ، يخترق جزءا من البحر ، بحيث يستحيل بناء عشش اخرى فى محاذاتها ، ولعله تعمد ذلك ليحظى بالعزلة والهدوء ، اللذين يعشقهما ، واللذين دفعاه إلى القدوم إلى هنا ، قبل ان ينتصف شهر يونيو ، ويبدأ موسم المصيف الفعلى ، بحيث اصبح اشبه بمن يقيم فى كوخ فى منتصف صحراء ، فهو فى عزلة ، فى مصيف خال تقريبا ..

وعندما اوقفت سيارتى إلى جوار عشة (حسن) ، بدا لى المكان رهيبا حقا ، فباستثناء الفنار الضخم ، الذى يظهر من خلف جبل رملى قريب ، والأمواج التى تضرب الشاطىء على نحو رتيب ، بدت لى المنطقة مهجورة ساكنة تماما ، حتى اننى لم اجرؤ على دق نفير سيارتى لإعلان وصولى ، خشية ان احطم تلك الصورة المهيبة للمكان ، وفضلت ان اغادر السيارة ، واتجه إلى باب العشة الخشبى ، وادقه فى هدوء ..

ومضت لحظات من الصمت التام ، قبل ان يتعالى وقع اقدام (حسن) ، ويفتح الباب :

وهالنى مرآه ..

هالنى بحق ..

لم يكن هو نفسه (حسن) الذى اعرفه ، المفعم بالحيوية والنشاط والقوة ..

كان حتما رجلا آخر ..

شاحبا ، نحيلا ، زائغ البصر ، مرتجف الشفاه ..

وبدلا من ان نتبادل التحية التقليدية ، او نتعانق فى لهفة ، شأن صديقين لم يلتقيا طيلة شهر كامل ، وجدت نفسى اهتف ملتاعا :

ـــ (حسن) ؟!.. ماذا اصابك ؟

تطلع إلى بتلك النظرات الزائغة ، قبل ان يتمتم :

ـــ (فتحى) ؟!



قالها فى لهجة رجل بوغت بما لم يكن يتوقعه او يريده ؛ او باسلوب من فوجىء بقدوم ضيف ثقيل فى لحظة راحة واستجمام ، مما اصابنى بغير قليل من الحرج والارتباك ، لولا قلقى عليه ، وانا اقول فى جزع :

ـــ قل لى ماذا حدث ؟

رايت ابتسامة شاحبة باهتة ترتسم على شفتيه ، كان من الواضح انه قد استجمع كل ما تبقى له من قوة وجهد ، ليرسمها

على نحو مناسب ، وهو يغمغم بحروف لم ينجح فى إخفاء ارتجافتها :

ـــ ومن انباك بحدوث شىء ؟

دلفت إلى الداخل ، وانا اشير إلى وجهه ، قائلا :

ـــ انت .. وجهك يحمل اهوالا .

رسم نفس الابتسامة على شفتيه ، وهو يقول :

ـــ انت تبالغ كعادتك .. لقد كنت مريضا بعض الوقت فحسب .

كان من الواضح انه يكذب .. وانه يخفى عنى امرا ما ..

وانه لم يفعل هذا قط ، طيلة عمر صداقتنا الطويلة ..

وفى حيرة تطلعت إليه ..

لماذا يكذب ؟..

لماذا يعمد ـــ لاول مرة ـــ إلى إخفاء شىء ما عنى ؟..

إنه لم يخف عنى ابدا ، حتى حقائق مشاعره وخباياها ..

حتى اللحظات التى خفق لها قلبه ..

واللحظات التى استسلم فيها لخفقاته ..

لم يخف عنى ـــ بحكم صداقتنا ـــ امرا واحدا طيلة عمرينا .

فماذا حدث ؟!..

كان من الواضح انه يعانى توترا شديدا ، فقد راح ينقر مسند مقعده باصابعه فى عصبية ، وهو يتطلع عبر النافذة المفتوحة إلى البحر ، ونظراته تحمل الكثير من القلق والترقب والخوف ، مما دفعنى إلى سؤاله :

ـ كيف حال العمل ؟

التفت إلى ، يسألنى فى شرور :

ـ أى عمل ؟

غمغمت :

ـ قرض الشعر .

حدق فى وجهى لحظات ، وكأنما لم يفهم ما أعنيه ، ثم عاد يدير عينيه إلى البحر ، ويتطلع إليه بنفس التوتر والخوف ، وهو يغمغم فى لهجة بدت لى مريرة :

ـ الشعر ؟! ..

أدرت عينى بدورى ، أتطلع إلى البحر فى حيرة ، ولم أدر أبدا ما الذى يمكن أن يثيره ذلك البساط المائى الجميل فى النفس ، سوى النشوة والانتعاش ؟! ..

كيف يمكن لمشهد الأمواج الناعمة الرقيقة ، وهى ترتطم بالشاطىء فى رفق ، ثم تنسحب عنه فى حياء ، أن يثير فى النفس التوتر والخوف ؟! ..

ولكن مهلا ..

تلك النظرة فى عينى (حسن) لم تكن تحمل التوتر والخوف فحسب .. لقد كانت مزيجا عجيبا من اللهفة والخوف ، والترقب والقلق ..

كانت نظرة إنسان ينتظر شيئا يرهبه ويحبه فى آن واحد ..

تماما كمدمن المخدرات ، عندما ينتظر المخدر فى لهفة ، وهو يخشاه لما يحطمه فى نفسه من إرادة وقوة ..

وللحظة ، راودتنى فكرة أن يكون (حسن) مدمنا ، إلا أننى لم ألبث أن استبعدتها فى نفس اللحظة ..

وتضاعف فضولى ، ولم أعد أحتمل السكوت ، أو أطيق صبرا على الغموض وقررت أن أتعامل مع (حسن) بذلك الأسلوب ، الذى نتعامل به طيلة عمرنا ، فملت نحوه ، وسألته على نحو مباشر :

ـ حسنا .. ماذا فى البحر ؟

أدهشنى رد فعله كثيرا .

بل أذهلنى ..

لقد انتفض وارتجف ، وشحب ، وامتقع ، كما لو أننى قد أخبرته أن موعد مصرعه قد حان ، وأنه سيقضى نحبه بأشد طرق الأرض عذابا وإيلاما ، وهتف مرتعدا منكمشا مذعورا :

ـ البحر ؟! .. لا يوجد شىء فى البحر .. لا شىء على الإطلاق .. من وضع فى رأسك هذه الفكرة ؟

تنهدت وقد أدركت عدم جدوى المصارحة ، مع حالة (حسن) العجيبة ، وشعرت لحظات بالندم لقدومى ، ثم لم ألبث أن أبدلت هذا الشعور بشعور آخر بالارتياح ؛ لأننى قد وصلت إلى صديقى فى الوقت المناسب ، قبل أن يصيبه ذلك الشىء فى البحر بالجنون ..

ولكن ما هذا الشىء ؟

ألح هذا السؤال فى ذهنى ، قبل أن يقول (حسن) :

ـ لا ريب انك تحتاج إلى الراحـة ، بعد رحلـة السـفر الطويلة ، من (القاهرة) إلى (بلطيم) .. سأعد لك قدحا من الشاى ، وعشاء بسيطا .

اومات براسى موافقا فى خفـوت ، وتركته يذهب لإعـداد ما عرض ، وانا ادير وجهى إلى البحر فى حيرة ..

ما الذى يخفيه ذلك السطح الهادىء المتموج ؟..

اية لعنة تحملها هذه الأمواج ؟..

ولم اتصور لحظتها ان رحلتى هذه ستبدل مسار عمرى وحياتى كله ..

وإلى الأبد ..

***



٢ ـ البحـر ..

لست ادرى كيف نمت بكل هذا العمق فى تلك الليلة !!

لقد كانت حيرتى وحدها كافية لإيقاظى طيلة الليل ، ولم اكن مرهقا إلى ذلك الحد ، ولكننى لم أكد اضـع راسى على الفراش ، حتى رحت فى نوم ثقيـل عميق ، يفوق حتى عمق نومى العادى ، فى اشد ايامى إرهاقا ..

وعندما استيقظت ، لم يكن (حسن) فى العشة ..

لقد بحثت عنه طويلا ، وليست العشـة بالضخامة التى تكفى لأن يختفى دون ان أعثر عليه ..

ولم ادر اين ذهب (حسـن) ، ولقد شـعرت فى الواقع بالقلق إزاء اختفائه ، وزاد من توترى ذلك الصداع ، الذى يكتنف راسى ، والذى لم يفارقنى منذ استيقاظى ، فتوجهت إلى المطبخ ؛ لإعداد قدح من الشاى ، وبعد ان وضعت إبريق الشاى فوق الموقد المشتعل ، وراح ماؤه يغلى ، كشفت فجاة اننى اجهل اين يضع (حسن) الشاى ، فرحت ابحث عنه ، ولكننى لم اعثر على ذرة واحدة منه ، على الرغم من معرفتى بكم استهلاك (حسن) له ، وراودتنى فكرة أنه قد يحتفظ به فى حجرة نومه ، فذهبت إلى هناك ، وفتحت صوانه ، و ...

وبهت ..



كان الصوان منظما للغاية، كعادة (حسن) ، ولكن احد أرففه قد أخلى تماما ، ليحتله تمثال رائع مبهر ، لشعب مرجانية من الذهب الخالص ، تزينها قطع صغيرة من الماس والياقوت والزمرد ، لم يكد الضوء يسقط عليها ، حتى راحت تتالق على نحو رائع مثير ..

ووقفت امام التمثال مبهورا ، مشدوها ، دون أن أجرؤ حتى على لمسه ..

لقد كان تحفة رائعة الجمال ، صنعتها اصابع فنان ماهر ، لملك عظيم ، أو مليونير سخى ، فلم يكن ثمن مثل هذه الرائعة ايقل عن مليون جنيه دفعة واحدة ..

وفجاة ارتفع صوت غاضب من خلفى ، يقول :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

استدرت إلى مصدر الصوت فى حدة ، ووقع بصرى على (حسن) ، الذى بدا بسحنته المقلوبة فى تلك اللحظة اشبه بذئب غاضب ، انتزع أحدهم فريسته ..

وقبل أن انبس بحرف واحد ، اندفع (حسن) يتجاوزنى ، واغلق صوانه فى إحكام ، وهو يقول فى غلظة :

ـ لست أحب العبث باشيائى .

تمتمت مرتبكا :

ـ لقد كنت أبحث عن ..

قاطعنى ثائرا :

ـ ابحث فى مكان آخر ، وليس فى حجرتى .

تمتمت :

ـ معذرة .

لم يكن مثل هذا الموقف قد حدث بيننا ابدا ؛ لذا فقد بلغ ارتباكى وتوترى مبلغهما ، وانا اغادر حجرته ، التى اغلقها بمفتاحها فى إحكام ، وقبض اصابعه على المفتاح فى قوة ..

لحظتها فقط لاحظت جسده المبتل ، وشعره الملتصق بجبينه ، فغمغمت محاولا الابتعاد عما حدث :

ـ اكنت تسبح ؟

اجابنى فى غلظة لم اعتدها منه ابدا :

ـ ليس هذا من شانك .

صدمنى الجواب ، فحدقت فى وجهه لحظة ، ثم انسحبت إلى الشرفة ، وجلست صامتا مبهوتا ، احدق فى البحر ، الذى يملك وحده سر الغموض المحيط بالمكان ، إلا ان (حسن) لم يلبث ان لحق بى ، وغمغم فى اسف :

ـ معذرة .. لقد كنت متوترا فحسب .

قلت فى خفوت ، وانا اتحاشى ان تلتقى عينانا :

ـ لا عليك .

غلفنا الصمت لحظات ، تفاديت خلالها بدء الحديث ، حتى اشار هو إلى البحر ، وقال فى لهجة اشبه بالوله :

— اليس رائعا ؟!

ادهشنى جـدا انفعاله ، الذى يختلف جذريا عن انفعال امس ، فتطلعت إلى وجهه فى حيرة ، وانا اساله :

— ما هذا ؟

اجابنى وكأنه امر بديهى :

— البحر .

ثم عاد يتطلع إلى البحر فى هيام عاشق ، مستطردا :

— إنه اروع شىء فى الوجود ، وخزانة اعظم اسرار الدنيا .. صدقنى .. إننا لم نسبر غوره بعـد ، ولم نكتشـف كل خباياه ، على الرغم من آلاف الكشوف ، التى تنتمى إليه .

كانت فرصة سانحة لكشف السر ، ولم اشأ إضاعتها ، فقلت فى حذر :

— هل كشفت فيه جديدا ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة ، وهو يقول :

— بل كشفت جنته .

وفجاة تبدلت ملامحه ، واكتست بالحزن ، وهو يستطرد :

— وجحيمه .

لم افهم المعنى جيدا ، فسالته فى فضول :

— ما معنى ان تكشف الجنة ، والجحيم فى آن واحد ؟

شرد ببصره لحظـات ، وهو يتطلع إلى نقطة مجهولة فى البحر ، قبل ان يبتسم فى مرارة ، ويقول فى خفوت :

— إنما هو تعبير شعراء .

كنت اعلم انه ما زال يخفى عنى الكثير ، وانه لم يفصح بعد عن كل ما لديه ، ولم اطق المزيد من الانتظار ، فسالته :

— ألهذا الكشف علاقة بتمثال المرجان الذهبى ؟

بقى صامتا ، جامدا لحظات ، قبل ان يقول فى اقتضاب :

— إلى حد ما .

فجاة قفز إلى ذهنى سؤال ، لم يلبث ان وجد طريقه إلى لسانى فى اللحظة ذاتها ، فقلت :

— ولكن اين كنت تسبح ؟

اجابنى فى بساطة :

— فى البحر .

قلت فى حيرة :

— ولكننى لم ارك .. لقد بحثت عنك فى العشة ، ووقفت اتطلع إلى البحر طوال خمس دقائق كاملة ، ولم تكن هناك .

اجابنى فى هدوء :

— لم تكن لترانى ، فقد كنت تحت .. تحت سطح الماء ..

سالته :

— لمـاذا ؟

صمت طويلاً ، وهو يتطلع إلى البحر ، وشحب وجهـه قليلا ، قبل ان يجيب فى خفوت :

— لست ادرى .

ثم اعتدل بغتة ، وسالنى :

— هل تناولت قدحا من الشاى عند استيقاظك ؟

قلت فى ضيق :

— لم اجد الشاى .

ابتسم قائلا :

— ربما لانك لم تبحث جيدا .. سأعد انا لك قدح الشاى، الذى تحب تناوله كل صباح .

ذهب لإعداد الشاى ، وتركنى فى الشرفة حائرا ، اتطلع إلى البحر ، واتساءل عن سر تلك التغيرات ، التى تصيب (حسن) ، وعن ارتباطها بالبحر ، وابحث عن تفسير لغموض اسلوبه وكلماته ..

وفجاة ، التقطت عيناى شيئا ما على الرمل ..

اثرا صغيرا ، انطبع بالقرب من الامواج ، التى كادت تطمسه تقريبا ..

وبسرعة غادرت الشرفة ، وانحنيت اتطلع إلى الأثر ..

لقد كان بقايا اثر قدم ضفدع بشرى ، بتلك الأطراف الحادة ، المتصل بعضها ببعض بوصلات قوسية صغيرة ، اشبه بقدم ضفدع ..

ودون ان اطيل النظر ، عدت إلى الشرفة ، واتخذت مجلسى كالسابق ، حتى عاد (حسن) بقدح الشاى ، فسألته متظاهرا باللامبالاة :

— الا يبدو لك هذا المكان مناسبا لرياضة الغوص ؟

هز كتفيه ، قائلا :

— ليس تماما .

قلت وانا ارتشف رشفة من قدح الشاى :

— لو اننى خبير سياحى ، لأحضرت العشرات من الضفادع البشرية هنا .

قال فى بساطة :

— سيدهشى مرآهم السكان كثيرا .

كان هذا ما أرمى إليه بالضبط ، لأسأله :

— الا يرون الضفادع البشرية هنا ابدا ؟

هز راسه نفيا ، وقال :

— هذا الشاطىء رملى تماما ، وهواة الغوص يفضلون الشواطىء الصخرية .

سألته فى اهتمام :

— وماذا عنك ؟.. إنك تهوى الغوص .. الم يرك السكان ابدا فى حذاء غوص ؟

هز راسه نفيا مرة اخرى ، وقال :

— مطلقا ، فلست ارتديه ابدا .. إننى حتى لا املك واحدا ، بل احب السباحة هكذا .

ملأنى التوتر مرة اخرى ، ورحت ابحث عن تفسير آخر لاثر قدم الضفدع البشرى على رمال الشاطىء ..

صحيح اننى لم ار الأثر كاملا ، ولكننى واثق من طبيعته تماما ..

إنه حتما اثر قدم ضفدع بشرى ..

وفجاة جال بخاطرى احتمال مخيف ..

ماذا لو انها آثار قدم واحد من مهربى المخدرات ، الذين يتسللون إلى شواطئنا تحت الماء ؟..

وجذب الاحتمال احتمالا آخر ..

هل يعمل (حسن) فى مجال تهريب المخدرات ؟..

ولم اجد الجواب هذه المرة ايضا ..

وتضاعفت حيرتى ..

* * *

٣ ــ الأعماق ..

فى هذه الليلة ايضا نمت نوما عميقا للغاية ..

لست ادرى ما الذى اصابنى هنا ؟.. إننى اقضى نهارى كله فى مراقبة (حسن) ، وهو يغوص فى مياه البحر كل ثلاث او اربع ساعات ، واعصر عقلى بحثا عن تفسير مقنع لكل ما يحيط به من غموض ..

لتوتره ولهفته وقلقه وحيرته ..

وفى هذا الصباح ايضا شعرت بصداع شديد ، ولكن (حسن) كان فى العشة ، يجلس فى شرفتها متطلعا إلى البحر بتلك النظرة الغامضة ، وشعره المبتل يؤكد انه قد عاد منه على التو ، فجلست امامه ، وقلت فى هدوء :

ــ صباح الخير يا (حسن) .

اجابنى دون أن يدير عينيه عن البحر :

ــ صباح الخير .

سألته مشيرا إلى شعره المبتل :

ــ قل لى : أتسبح طيلة الوقت ؟

اجاب فى اقتضاب :

ــ تقريبا .

كان هناك سر يربطه بالبحر ، ويدفعه إلى السباحة والغوص لأطول فترة ممكنة بالتأكيد ..

ولقد عقدت العزم على كشف هذا السر ..

مهما كان الثمن ..

وفى ذلك اليوم ، وفى إطار الخطة التى وضعتها ، لم ألق عليه اية اسئلة ..

بل لم أبد أدنى اهتمام به ، وتظاهرت بالانهماك فى إصلاح عطب وهمى فى سيارتى ، حتى ذهب هو إلى البحر مرة اخرى ، فى الثانية ظهرا ..

وعندئذ أسرعت إلى حجرته ..

كنت واثقا من أن صوانه يحوى سرا آخر ، بخلاف ذلك التمثال المبهر ؛ لذا فقد فتشت ثيابه ، التى تركها خلفه ، عندما ذهب يسبح ، حتى عثرت على مفتاح الصوان ، وعلى الرغم مما ينطوى عليه هذا العمل من خسة ، إلا أننى فتحت الصوان بلا تردد ، وتطلعت فى دهشة إلى سمكة صغيرة من الفضة ، مطعمة بعينين من العقيق ، وقشور من البلاتين ، وقد استقرت إلى جوار تمثال الشعب المرجانية الذهبى ، وتساءلت متى احضر (حسن) تلك التحفة الجديدة ، ثم لم البث أن قفزت بذهنى إلى استنتاج عجيب ..

لم لا يكون (حسن) قد كشف كنزا ؟..

كان هذا يفسر تكتمه الشديد ، وتوتره ، فللمال شهوته وبريقه ..

ويفسر ايضا سباحته وغوصه لفترات طويلة ، فلا ريب انه يبحث عن المزيد من التحف الثمينة ، والكنوز التى لا تقدر بمال ..

نعم ..

هذا هو الاستنتاج الحق ..

لقد كشف (حسن) كنزا ..

ارتاحت نفسى لهذا الاستنتاج ، على الرغم من انه لم يفسر لى شحوبه وذبوله ، ولا تلك النظرة التى تحمل آلاف المعانى ، والتى يتطلع بها دوما إلى البحر ..

ولكنه كان تفسيرا كافيا ليصمت شيطان القلق فى اعماقى ..

إنه دارس لعلم طبقات الأرض ، على الرغم من عدم اشتغاله به ، ولا ريب انه قد عثر بواسطته على كنز ما ، ولـكنه يحب الاحتفاظ به لنفسه ..

وفجأة ، انهدمت نظريتى راسا على عقب ..

انهدمت عندما وقع بصرى على سمكة صغيرة محنطة ..

لم تكن من الذهب او البلاتين ، وإنما كانت سمكة محنطة تحنيطا بسيطا ، كالذى يقوم به بعض باعة البحر الأحمر ، عندما يجففون الأسماك ، ويطلونها بطلاء يحفظ انسجتها من التلف ، ثم يصنعون منها عدة اشياء منزلية طريفة ..



ولكن بالنسبة لرجل درس علم الحيوان مثلى ، كانت السمكة مذهلة بحق ..

لم تكن واحدة من الأسماك التى درستها فى عمرى كله ، ولا حتى التى يألفها اى شخص عادى .

لقد كانت سمكة فى كل شىء ، إلا بالنسبة لزعانفها الجانبية ، التى تحورت إلى ما يشبه ذراعى ضفدعة ،

ذات اصابع خمس ، واغشية رقيقة تربط بينها ..

لقد كانت حلقة من حلقات سلسلة التطور ، التى تحدث عنها (داروين) ..

وبينما رحت ادير السمكة لتأمل جوانبها فى انبهار ، راح عقلى يضع تفسيرا جديدا ..

إنه لم يعثر على كنز مادى فحسب ، وإنما على كشف علمى هائل ..

هذا ما يؤكده وجود السمكة ..

ولكن مهلا ..

ينبغى ان اعيد كل شىء إلى ما كان عليه ، فلقد حان موعد عودة (حسن) من البحر ..

اسرعت ارتب كل شىء كما كان ، وعندما اعدت السمكة إلى موضعها ، انزلق منديل صغير من موضعه خلفها ، وسقطت من خلفه قنينة عجيبة الشكل ، تحوى سائلا اخضر اللون ..

وفى دهشة ، تناولت القنينة ، ورحت اتأمل محتوياتها فى حيرة ..

كان ذلك السائل يبدو للوهلة الأولى رائقا شفافا ، إلا انك لا تلبث ان تنتبه إلى وجود ذرات صغيرة تسبح داخله بلا توقف ، حتى لو وضعته ثابتا ..

وكان ملمس القنينة يبعث فى النفس شعورا عجيبا ..

وبلا وعى ، وبدافع من فضول بلغ ذروته ، ازحت غطاء القنينة ، ورفعتها إلى انفى ، لاشم رائحة ذلك السائل الأخضر العجيب ، الذى اضيف إلى الصورة ، ليجعل من الأمر كله لغزا محيرا غامضا ..

وفى حذر ، لمست السائل بطرف لسانى ، ولما بدا لى مذاقه حلوا ، ارتشفت منه رشفة صغيرة ، ثم أعدت الغطاء والقنينة إلى موضعهما ، وانا اتساءل عن كنه هذا السائل ..

وعدت إلى الشرفة ، متوقعا عودة (حسن) ، ولكن المكان بدا لى خاليا تماما ، حتى البحر ، لم يكن به اثر (حسن) ..

وانتظرت هذه المرة ..

ومضت الدقائق كالدهور ، وانا ابحث بعينى عن (حسن) .

ثم ظهر (حسن) فجاة على السطح ، وراح يسبح نحـو الشاطىء ، ثم اتجه إلى العشة ، وقال :

— كيف حالك يا (فتحى) ؟.. هل تشعر بالملل هنا ؟

لوحت بكفى ، وانا اقول مبتسما :

— مطلقا .

تطلع إلى طويلا ، وكأنما يحـاول سبر اغوارى ، قبل ان يسألنى فى هدوء :

— ماذا تحب ان تتناول فى العشاء ؟

قلت متظاهرا باللامبالاة :

— سمك مشوى . لو ان هذا متيسر .

اجابنى فى حدة مفاجئة :

— لا .. لا اسماك .

سألته فى دهشة :

— لماذا ؟.. لقد كنت تعشق الأسماك المشوية فيما مضى .

اجابنى فى صرامة :

— ليس الآن .

ثم اشاح بوجهه إلى البحر ، مستطردا فى حزم :

— من حق الأسماك ان تحيا .

كان منطقا يثير الدهشة ، حتى اننى قلت معترضا :

— ولكن الله (سـبحانه وتعـالى) منحنـا حق صـيد البحر ، و ...

قاطعنى فى حدة حاسمة :

— قلت لا اسماك .

لوحت بكفى ، وانا انوى موافقته تأدبا ، ولكن فجاة حدث أمر عجيب ..

فجاة شعرت وكأن الحجرة كلها قد خلت من الهواء ..

واننى اختنق ..

وعلى الفور قفز ذهنى إلى ذلك السائل الأخضر العجيب .

واحتقن وجهى بزرقة مخيفة ، وسقطت على ركبتى ارضا ، وانا ارفع كفى إلى (حسن) ، هاتفا فى ضراعة :

— انقذنى .. إننى اموت .. إننى اختنق ..

ثم لم اعد اشعر بشىء .

* * *

٤ ـ فى ضوء القمر ..

لم ادر ما الذى اصابنى ، ولا كم من الوقت لبثت فاقد الوعى ، ولكننى عندما استعدت إدراكى حولى ، كنت راقدا على اريكة صغيرة ، فى ردهة العشة ، وكان (حسن) يقف امام نافذتها الضخمة ، متطلعا إلى البحر ، وقد ترك العشة كلها مظلمة ، إلا من ضوء القمر المكتمل بدرا ، والذى غمر الردهة بضوئه الفضى الساحر .. وعلى ضوء القمر ، رأيت وجها جديدا لـ (حسن) ..

كان يقف صامتا ساكنا ، وقد عقد كفيه خلف ظهره ، وبدت ملامحه شديدة الصرامة والقوة ، وعيناه تحملان غضبا مكتوما ..

وعلى الرغم من شحوبه ، بدا لى الليلة رهيبا مخيفا ، ولم اكد اصدر صوتا ينبىء عن استعادتى الوعى ، حتى ادار عينيه إلى ، وقال فى غضب وصرامة :

ـ الم اطلب منك عدم العبث باشيائى ؟

قلت فى ارتباك :

ـ صدقنى .. انا لم ..

قاطعنى بصوت كالهدير :

ـ كاذب ..

ثم اندفع نحوى ، وجذبنى من ياقة سترتى ، مستطردا فى ثورة :

ـ انت لا تدرك باى شىء تعبث .. ولن تفهم ابدا ماذا تواجه .. اترك كل شىء .. لا تدس انفك فيما لا يعنيك .

ودفعنى فى عنف ، ليعيدنى إلى الأريكة ، دون ان انبس ببنت شفة ، وبدت لى عيناه مخيفتين ، وهو يقول فى صرامة وحزم :

ـ ارحل .

هتفت مشدوها :

ـ ارحل ؟!.. هل تطردنى يا (حسن) ؟

اشاح بوجهه عنى ، وهو يقول :

ـ هذا افضل .. ارحل من هنا ، قبل ان ...

صمت وهلة ، ثم اضاف فى مرارة :

ـ قبل ان تفعل مثلى .

سالته مبهوتا :

ـ وماذا فعلت انت ؟

لم يجب ..

فقط راح يتطلع إلى قرص القمر المكتمل طويلا ، قبل ان يلتفت إلى ، قائلا فى حزم ، وبلهجة لا تقبل نقاشا :

ـ سأعد لك قدحا من الشاى .

لم يترك لى فرصة المناقشة او الاعتراض ، بل اتجه على الفور إلى المطبخ ليعد الشاى .

وفى صمت وحذر ، غادرت الأريكة ، وتسللت على اطراف اصابعى ، اختلس النظر إليه ، وهو يعد الشاى ، وقد خامرتنى فكرة مخيفة ..

وكانت شكوكى هذه المرة فى محلها ..

لقد انتهى (حسن) من إعداد الشاى ، ثم اضاف إليـه قطرات من سائل وردى ..

هذا إذن هو سر النوم العميق ، الذى اسـقط فيـه كل ليلة ..

إنه يخدرنى ..

إنه يبعدنى عن أمر ما ..

وبسرعة ، عدت إلى الأريكة ، واستلقيت فوقهـا ، حتى عاد يحمل قدح الشاى ، وقدمه إلى قائلا فى حزم :

— اشرب .

حملت القدح ، ونهضت من الأريكة ، قائلا :

— الأفضل ان اتناوله فى حجرتى ، فما زال راسى يدور .

غمغم وهو يتطلع إلى القمر :

— هذا افضل .

ذهبت بالقدح إلى حجرتى ، ثم اسرعت افرغه عبر نافذتها فوق الرمـال ، واسـتلقيت على فراشى ، وسـبلت عينى متظاهرا بالنوم ، وإن راح عقلى يلقى عشرات الأسئلة ..

ما سر كل هذا ؟..

ما طبيعة ذلك السائل الأخضر العجيب ، وما الذى فعله بى ؟..

من اين حصل (حسن) على هذه التحف النادرة ؟..

لماذا يتطلع دوما إلى البحر ؟..

انتزعنى من افكارى صوت باب حجرتى يفتح ، وشعرت بـ (حسن) يدلف إليها ، ويتوقف لحظات عند طرف فراشى ..

كان من الواضح انه يتأكد من نومى ، قبل ان يبـدا ذلك العمل الذى يخدرنى من اجله يوميا ..

وفى هدوء ، غادر (حسن) حجرتى ، واغلق بابها خلفه ، فقفزت من الفراش ، وحمدت الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأن النصف العلوى من جدران العشة مصنوع من البوص ، مما يؤهلنى لرؤية ما يفعله (حسن) فى حجرته ، دون أن يشعر هو بى ..

وعبر اعواد البوص ، رايت (حسن) يقف أمام صوانه الخاص ، ويتناول منه تلك القنينة العجيبة ، ليجرع منهـا بعض السائل الاخضر ، ثم ينتزع ثيابه كلها ، إلا من ثوب بحر صغير ..

ثم غادر (حسن) العشة ، وسار على رمال الشاطىء فى بطء ، وعيناه متعلقتان بالأمواج التى ترتطم بالشاطىء ..

وعلى ضوء القمر ، شاهدته يقف على الشاطىء صامتا ، يتطلع إلى البحر كتمثال من الملح ..

ثم فجأة ، خيل إلى ان سطح المـاء يتوتر فى بقعة ما ، ثم لم يلبث هـذا الخيال ان تحول إلى حقيقة ، وبرز شىء ما من تحت المـاء ..

واتسعت عيناى فى ذهول ..

لقد كانت معجزة ..

أو هى لعنة ..

لعنة البحر ..

* * *

٥ ــ السحر ..

لم أصدق عيناى فى البداية ، بل خيل إلى اننى احلم ، او ان احلام صباى وشبابى كلها قد تجمعت فى صورة رائعة مذهلة ..

لقد كان ذلك الشىء ، الذى خرج من الماء امراة ..

نعم .. امراة هى أروع واجمل ما رايت فى عمرى كله ..

بل أروع حتى مما وصف الشعراء المراة ..

كانت كتلة من الفتنة والسحر ..

قوام متناسق بديع التكوين ، هو اية فى الجمال والفتنة ..

ووجه حورية من حوريات الجنة ، بفم اشهى من فاكهة طازجة ، نبتت قبل موسمها ، وبعينين هما كل سحر البحر وغموضه ، فيهما مطلع القمر وشروق الشمس ، وشعر أخضر ناعم ينسدل على كتفين لهما استدارة ساحرة ..

كل شىء فيها كان ساحرا ، فاتنا ، طاغيا ..

كانت امراة أروع من كل نساء الأرض ..

وبين أصابع كفيها ، لمحت على ضوء القمر ذلك الغشاء الرقيق ، الذى يشبه زحفات العوم عند بعض الطيور ، وعندما نقلت بصرى إلى قدميها ، رايت قدما اشبه بحذاء ضفدع بشرى ..

وكانت فاتنة البحر هذه ترتدى ثوبا يلتصق بجسدها ، من عنقها إلى ركبتيها ، ويلتمع ببريق ذهب خالص ..

وكان (حسن) يتجه إليها كالمأخوذ ..

وفى نعومة مذهلة ، رفعت الفاتنة كفيها إلى (حسن) ، فالتقطهما فى راحتيه فى لهفة وحب ، وراح الاثنان يتطلع احدهما إلى الآخر لحظات فى هيام ، ثم ارتسمت على الشفتين الطازجتين ابتسامة ، وتشابكت الكفان ، واتجه (حسن) مع الفاتنة إلى البحر ، وغاصا ..

ظللت احدق فى الشاطىء كالمأخوذ ، والوقت يمضى بطيئا ثقيلا ، حتى انتفض جسدى بغتة ، كما لو اننى افيق من غيبوبة ..

بل من نشوة عارمة ..

الآن فهمت ..

الآن ازددت حيرة ..

فهمت لماذا كان (حسن) يعمد إلى تحذيرى فى كل ليلة ..

فهمت سر اللهفة والترقب فى عينيه ..

فهمت سر تطلعه الدائم إلى البحر ..

وازددت حيرة بشان قدرته على البقاء تحت الماء طويلا ..

كيف لم أنتبه إلى هذا فى حينه ؟!

لقد قضى ، فى اليوم التالى لوصولى ، خمس دقائق كاملة تحت الماء .. ومن يمكنه ان يحبس انفاسه كل هذا الوقت ؟!..

ثم لماذا يختلط الترقب واللهفة فى عينية بالتوتر والقلق والخوف ؟..

وما سر تلك الساحرة ؟..

عشرات التساؤلات ملأت راسى ، حتى بعد ان رايت ما رايت ..

بل إن ما رايته هو السر فى تزايد الأسئلة وتزاحمها ..

وفى شرفة العشة ، اتخذت مقعدا يخفيه سور الشرفة عن الأنظار ، ورحت انتظر ..

ومع شروق الشمس ، صعد الاثنان من تحت الماء ..

ورايت الفاتنة اكثر وضوحا فى ضوء الشمس ..

كانت اكثر من رائعة ..

كانت فتنة تمشى على قدمين ، وسحرا ينبض بعروق الحياة ..

وملأ كل منهما عينيه بصورة الآخر ، ثم ابتسمت فاتنة البحر ، وجذبت يدها من اصابع (حسن) فى رفق ، وعادت إلى الماء ..

فى تلك اللحظة بدا (حسن) اشبه برجل تفارقه حياته ، وهو يتابعها ببصره فى حزن ومرارة ، حتى اختفت تحت سطح الماء ..

والواقع اننى ايضا شعرت بالمرارة والحزن ..

لقد حسدت (حسن) لحظتها ..

حسدته ؛ لأنه استطاع ان يمضى الكثير من الوقت مع ملكة السحر نفسها ..

وتمنيت لحظتها لو اقترب منها ..



لو اتطلع إلى عينيها الساحرتين !!.
لو التهم شفتيها !!.

وجلست فى مقعدى صامتا ، حتى بلغ (حسن) الشرفة ، فتسمر مشدوها ، وتطلع إلى ماخوذا ..

وفى خفوت ، تمتمت :

— لقد رايت كل شىء .

ظل يحدق فى وجهى لحظات ، فاضفت :

— وفهمت كل شىء .

اطرق بوجهه ارضا ، وغمغم فى مرارة :

— كنت اعلم ان هذا سيحدث ، إن عاجلا او آجلا .

غمغمت فى خفوت ، وكان كلينا يخشى رفع صوته ، حتى لا يسىء إلى الموقف :

— لماذا لم تخبرنى ؟

هز راسه ، وقال :

— كان من المستحيل ان يصدقنى احد .. حتى انت .

قلت مؤمنا :

— صدقت .. الأمر اعجب من أن اصدقه ، على الرغم من رؤيتى له بنفسى .

تنهد فى عمق ، وقال :

— حسنا .. سأخبرك بالسر .

ورفع عينيه إلى ، وهو يستطرد مستسلما :

— بالسر كله ..

* * *

٦ — السر ..

كان يتطلع إلى البحر بنفس النظرة ، التى تحمل مختلف الاحاسيس والمشاعر ، وهو يقول :

— الأمر يبدو اشبه بالاساطير ، حتى اننى انا نفسى اعجز احيانا عن تصديقه ، ويبدو لى كأنه حلم طويل عميق ، لم استيقظ منه بعد .. لقد بدا الأمر منذ اسبوعين فحسب ، فى ليلة غاب فيها القمر تماما ، وبدا الليل عميقا صامتا رهيبا .. وفى مثل تلك الليالى ، يحلو لى الجلوس على الشاطىء فى الظلام ، تاركا الأمواج تعبث بقدمى وتداعبهما .. وبينما استرخى جسدى مع الليل والبحر ، ورتابة الأمواج ، وراحت قصائد الشعر تولد فى خيالى ، تناهى إلى مسامعى فجأة تأوه انثوى مكتوم ..

صمت لحظة ، وشرد ببصره مغمغما :

— ورايتها .

صمت لحظة أخرى ، وكأنما هذه الكلمة وحدها قد ارهقته ، بكل ما حملته إليه من مشاعر وذكريات ومعان ، قبل ان يتابع :

— كانت جريحة ، القى بها الموج إلى الشاطىء ، وكانت ضعيفة ، واهنة ، فاتنة ، حتى اننى لم اتمالك نفسى امام سحرها ، فأسرعت احملها إلى عشتى ، وانا اتصور انها واحدة من راكبات السفن ، سقطت فى البحر ، وحملتها الأمواج إلى الشاطىء .

تنهد فى عمق ، مع استعادته للذكرى ، واستطرد :

ــ وفى العشـــة فوجئت بالزعانف بين اصــابع يديهــا ، وبقدميها الشبيهتين بقدمى ضفدع بشرى ، وشعرها الأخضر الناعم ، ولكننى داويت جراحها ، محاولا تجاهل كل هــذا ، لولا أن احتقن وجهها فجاة فى زرقة ، واشارت إلى البحر فى هلع .. ولم اكن احتاج إلى الكثير من الذكاء ، لادرك ما الذى تعنيه .. لقد كانت مخلوقا بحريا ، وليست واحدة من البشر مثلنا .. وكانت تحتاج إلى المــاء ، او تختنق .. وبسرعة حملتها إلى البحر ، وبسرعة ايضا استعادت قوتها ووعيها ، وابتسمت اجمل ابتسامة رايتها فى حياتى ، وهى تقول فى رقة بالغة :

ــ اشكرك .

هتفت فى دهشة :

ــ أهى تتحدث لغتنا العربية ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

ــ هذا ما تصورته لحظتها ، لولا ان انتبهت إلى انهــا لم تفتح شفتيهــا ، واننى لم اسمع تلك الكلمة باذنى ، وإنمــا بعقلى .. لقد كانت تستخدم اســلوب التخــاطر العقلى ، وتجيده فى مهارة ، ولقد علمتنى إياه فى يوم واحد .

تنهد مرة اخرى ، وقال :

ــ واحببتها .

لم انبس ببنت شفة ، عندما صمت طويلا بعد هذه الكلمة ، وتركته يسترجع لحظات سعادته وحبه ، قبل ان يتابع :

ــ لم اعد اطيق صبرا على حبهــا ، وصارحتها بالأمر ، ولكنها واجهتنى بحقيقة مذهلة ، الا وهى ان احدنا لا يستطيع العيش فى عالم الآخر ، فهى برمائية ، وانا برى .. هى تحيا فى الماء ، وانا على الأرض .. وآلمنى ذلك للغاية ، واهدتنى هى ذلك التمثال للشعاب المرجانية ، فى محاولة لتسرية عنى، إلا اننى لم اشعر بالارتياح ، ولم يهدأ بالى ، حتى صارحتها يوما باننى مستعد للزواج منها ، مهما كانت التضحيات ..

شرد بصره ، وهو يتابع :

ــ وغابت ثلاثة ايــام كاملة ، ثم عادت تحمل إلى قنينــة الدواء العجيبــة ، التى عبثت انت بهــا ، واخبرتنى انه من المستحيل تحويل البرمائية إلى برية ، ولكن هناك عقار كشفه احد علمائهم ، يمكنه تحويل البرى إلى برمائى ، واخبرتنى انه إذا ما كنت اريد البقاء معهــا حقــا ، فلابد لى من المخاطرة بالتحول إلى واحد من بنى قومها .

صمت لحظات ، ثم استطرد فى مرارة :

ــ ورحت اتناول العقار فى انتظام ، وفى كل مرة اتناوله ، تزداد قدرتى على البقــاء تحت المــاء ، ونحن نلهو ونلعب ونمرح معا ، وهى تحضر لى الهدية تلو الأخرى ، من تحف مملكة البحار ، التى يحكمها والدها ، حتى امكننى ان اقضى الليلة ست ساعات معهــا تحت المــاء ، ويقول علماؤها إن هذا يؤهلنى للزواج منها .

غمغمت :

— متى ؟

طال صمته هذه المرة ، قبل ان يقول فى همس :

— الليلة .

هتفت فى مزيج من الدهشة والجزع والاستنكار :

— الليلة ؟!

اوما براسه إيجابا ، فهتفت به :

— ولكنك لا تدرك ابعاد ما تفعل يا (حسن) .. إن هذا يعنى انسلاخك تماما عن مجتمعك الارضى ، وعن كل من عرفتهم وما عرفته .. ارايت ماذا حدث لى ، عندما تناولت جرعة من العقار الأخضر .. لقد كدت اختنق ، وهذا دليل على اننا لا نصلح لمعيشتهم .. لم نخلق لذلك .

قال فى خنوت :

— لقد اصابنى ما اصابك فى المرة الأول ، ولهذا علمت ما حدث لك على الفور ، ولكننى لم البث ان اعتدت تناول العقار ، وتعلمت انه من الضرورى ان اغوص بعد تناوله مباشرة ، فى الشهور الأولى على الأقل ، وإلا فساختنق .. تماما كسمكة اخرجتها من الماء .. وتماما مثلما حدث لك .. ثم إنك لم تر عالمها .. إنهم قوم متحضرون كثيرا ، وهم افضل منا بآلاف المرات ، فهم يتعايشون فى امن وسلام ، ويجندون كل علومهم للخير وحده ، حتى انهم يخشون كشف امرهم لنا ، حتى لا ننقل كل رذائلنا إليهم .. صحيح اننى اشعر

بالخوف والقلق لمفارقة عالمى ، ولكننى افعل هذا من اجلها .

قلت فى توتر :

— هذا لا يعنى ان تذهب معها .. دعها هى تاتى إليك .

تطلع إلى عينى مباشرة ، وقال :

— هل رايتها ؟

اجبته بالإيجاب ، فابتسم ابتسامة باهتة ، وقال :

— ماذا كنت ستفعل ، لو كنت مكانى ؟

اصابنى السؤال بحيرة طويلة ، قبل ان اجيب :

— كنت ساذهب معها ، ولو إلى الجحيم .

ربت على كتفى ، مغمغما :

— الآن عدنا نفكر بعقل واحد ..

وفى المساء ، لم يدس لى (حسن) المخدر فى قدح الشاى .. لقد تركنى انتظرها إلى جواره ، على شاطىء البحر .. واتت هى ..

ومن قريب ، رأيتها سحرا وفتنة ، وجمالا يفوق اهل الأرض جميعا ..

والعجيب انها لم تخف لوجودى ، ولم تجفل او تتراجع .. فقط منحتنى ابتسامة عذبة ، وتطلعت إلى (حسن) ، الذى احتوى كفها فى راحته ، واشار إلى قائلا :

— هذا (فتحى) .. صديقى .

اقسم إنه لم يفتح شفتيه ، ولم ينطق الجملة ..

ولكننى سمعتها ..

وابتسمت فاتنة البحر ابتسامة أكثر عذوبة ، وهى تقول، دون أن تفتح شفتيها :

ـ كل أصدقاء (حسن) أصدقائى .

التفت إلى (حسن)، وتطلع كلانا إلى الآخر فى صمت ، ثم امتدت أيدينا تتصافح فى قوة ، وترقرقت الدموع فى عينى، وأنا أقول :

ـ لا تغب طويلا .. سأنتظرك .

قال :

ـ سنزورك معا .. هنا .

وأضافت الفاتنة بعقلها :

ـ وربما أحضرت شقيقتى التوءم ..

هتفت مبهورا :

ـ حقـا ؟!

بدا لى قولها بمثابة وعد ، وهى تمسك كف (حسـن) ، الذى لوح لى بكفه الأخرى ، قائلا :

ـ الوداع يا صديقى .. الوداع ..

وبين أمواج البحر ، رأيتهمـا يختفيان ، حتى غابـا عن الأنظار ، فانحدرت دمعة على وجهى ، وتمتمت :

ـ وداعا يا (حسن) ..

وعندما عدت إلى شرفة العشة ، كنت أشعر أننى لم أفقد (حسن) تماما ، وأننا سنلتقى كثيرا فيما بعد ..

ولقـد قضيت ليلتى كلهـا فى الشرفـة ، حتى أشرقت الشمس ..

وفجأة ، اتخذت قرارى ، واتجهت إلى حجرة نوم (حسن) وفتحت دولابه ، وأخرجت قنينة السائل الأخضر ، وارتشفت منها رشفة كبيرة ، ثم رحت أخلع ملابسى ..

لقد قال إنه من الضرورى أن يغوص المرء بعدها مباشرة ..

وفى لهفة ، رحت أعدو فوق رمال الشاطىء نحو البحر ..

إننى أسـير فى نفس الخطـوات ، التى سـار فيهـا (حسن) ..

لقد أصابتنى اللعنة مثله ..

لعنة البحر ..

[تمت بحمد الله]

حلول اختبر معلوماتك

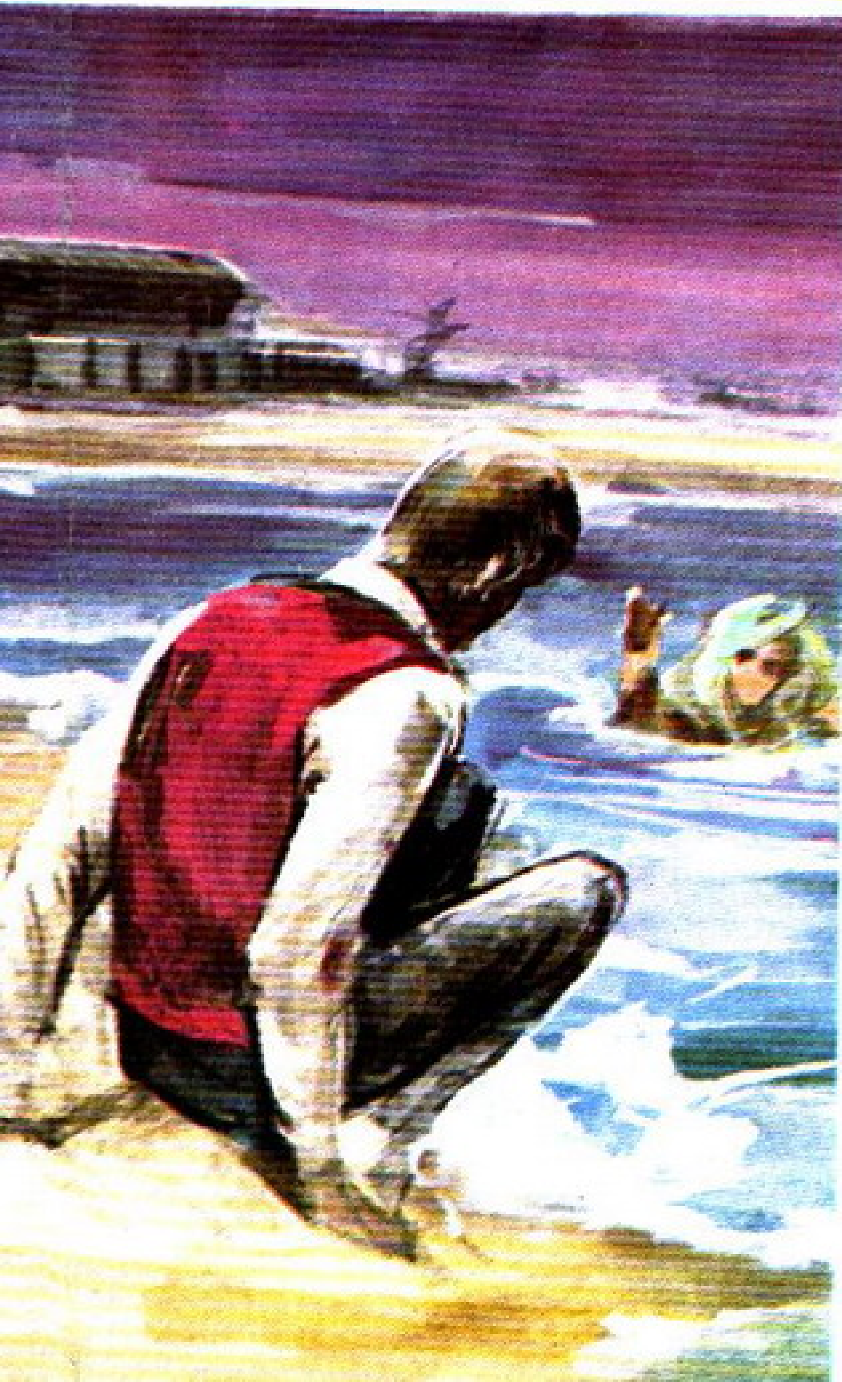


١ — ووترلو .
٢ — البؤساء .
٣ — ستة كيلومترات / ساعة .
٤ — سالبة .
٥ — نيل ارمسترونج .
٦ — الولادة .
٧ — طرزان .
٨ — توفيق الحكيم .
٩ — أوزيريس .
١٠ — العقاد .
١١ — توماس أديسون .
١٢ — ١٧٩٨م .
١٣ — مصطفى كامل .
١٤ — نمساوى .
١٥ — چولى نيرن .
١٦ — نهاد شريف .
١٧ — شكسبير .
١٨ — جراهام بل .
١٩ — أرايوس .
٢٠ — نوستراداموس .

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة



فى هذا العدد

يباع بـ ٢٫٥٠

التمن فى مصر
وما يعادله بالدولار
فى سائر الدول العربية والعالم